من جهــود الصحــابة والتابعين وتابعيهم
فى المحافظة على السنة النبوية

تأليف

د سعاد محمود عبد القادر حسين
مدرس بقسم الحديث وعلومه
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
فرع البنات – القاهرة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن من رحمة الله سبحانه وتعالى بالبشرية أن أرسل إليهم رسله كما قال تعالى: **(رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)**[1]، ثم اختتمهم سبحانه وتعالى بالنبي العربي الأمي الصادق الأمين محمد صلى الله عليه وسلم، فاصطفاه وأرسله إلى جميع خلقه بالهدى ودين الحق، شاهدا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً، وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً)**[2]، وأنزل عليه كتابا عزيزا، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، ويهديهم إلى صراط مستقيم، وأمره تعالى بتبليغ هذا الكتاب إلى جميع خلقه، قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ)**[3].

ثم أوكل سبحانه وتعالى إلى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بيان وتوضيح ما أراده من الكتاب العزيز والذكر الحكيم بقوله تعالى: **(بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)**[4]، فقام صلى الله عليه وسلم بالبيان على أكمل وجه؛ فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، وقد أخبرنا سبحانه وتعالى أنه صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى في كل ما يرد عنه من قرآن أو بيان له، فقال تعالى: **(وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ**

---

(١) [النساء: ١٦٥آية]
(٢) [الأحزاب: آية ٤٦]
(٣) [المائدة: آية ٦٧]
(٤) [النحل آية٤٤]

يُوحَى، عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى)[1]، وقال تعالى: **(فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ)**[2].

ولذلك أوجب الله علينا طاعته، وحذرنا من معصيته صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: **(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا)**[3]، وقال تعالى: **(فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)**[4].

فلما كان للرسول صلى الله عليه وسلم هذه المكانة العظيمة عند الله تعالى، أولى سلفنا الصالح لسنته صلى الله عليه وسلم جل اهتمامهم وعنايتهم، وبذلوا كل ما في وسعهم لصيانتها، وحمايتها، والذب عنها، والمحافظة عليها، وأفنوا في سبيل ذلك أعمارهم، حتى نقلوها للمسلمين نقية خالصة من أي دس أو تحريف أو تصحيف، ووضعوا الكثير من الشروط والضوابط للتأكد من صحة كل ما ينسب إليه صلى الله عليه وسلم، وتشددوا في ذلك صيانة للدين وحفظا للشريعة.

وفي بحثي هذا سأتناول بعضا من جهود الصحابة الكرام – رضي الله عنهم وأرضاهم – وأتباعهم وتابعيهم في المحافظة على سنته صلى الله عليه وسلم، وقد بذلت أقصى الجهد في تتبع هذا الموضوع في مظانه من الكتب الأصلية في الحديث وعلومه، وغيرها من المصادر التي لها علاقة بالموضوع، وقد عزوت إليها كل ما استقيته منها، وأثبت هذا في الهامش، وحرصت على تدعيم أقوالي بالأدلة إما من: القرآن الكريم، أو الأحاديث الصحيحة، والآثار المروية عن الصحابة والتابعين وأتباعهم، وأقوال الأئمة من علماء الإسلام ممن يعتد بقولهم ورأيهم، أو من الجميع ما وجدت إلى ذلك سبيلا، وقد قمت بتخريج هذه الأدلة، وعزوها إلى مصادرها الأصلية، وقسمت هذا البحث إلى: ثلاثة أبواب، وخاتمة.

الباب الأول: حول السنة، ومكانتها، وحجيتها، ويشتمل على أربعة فصول:

---

(١) [النجم ٣،٤،٥]

(٢) [القيامة١٨،١٩]

(٣) [الحشر :آية ٧]

(٤) [النور : آية٦٣]

الفصل الأول: تعريف السنة.
الفصل الثاني: أقسام السنة.
الفصل الثالث: مكانة السنة في الدين، ومدى حجيتها.
الفصل الرابع: علاقة السنة بالقرآن الكريم.
الباب الثاني، حول الصحابة والتابعين وأتباعهم، ويشتمل على أربعة فصول:
الفصل الأول: تعريف الصحابي، وكيفية معرفة الصحابي، وعدالة الصحابة، وعددهم.
الفصل الثاني: تعريف التابعي، عدالة التابعين، وعددهم.
الفصل الثالث: تعريف أتباع التابعين، عدالتهم، وفائدة معرفة الصحابة، والتابعين، وأتباع التابعين.
الفصل الرابع: موقف الصحابة ومن بعدهم من الاحتجاج بالسنة.
الباب الثالث: بعض من جهود الصحابة رضي الله عنهم وأتباعهم وتابعيهم في المحافظة على السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

ثم خاتمة أذكر فيها أهم ما يستفاد من هذا البحث، وما هو واجبنا نحو السنة النبوية المطهرة.

وأرجو من الله تعالى أن يوفقني إلى خدمة هذا البحث، وإتمامه بصورة علمية صحيحة لائقة تتناسب مع مكانة السنة الشريفة، وما **بذله** الصحابة الكرام وأتباعهم وتابعيهم من المحدثين من جهود مضنية للمحافظة عليها والدفاع عنها، وأن أشارك بجهدي المتواضع في إلقاء الضوء بعض هذه الجهود الخارقة، راجية أن يكون هذا العمل شاهدا يذكرنا بما تحمله السلف الصالح من مشقة وعناء في سبيل نقل الشق الثاني من الوحي إلينا نقيا صافياً كما أخذ عنه صلى الله عليه وسلم، متمنية أن يقتدي بذلك طلبة العلم بل كل المسلمين، فيسيروا على درب سلفهم الصالح، ويبذلوا أقصى ما في وسعهم وطاقتهم وجهدهم لطلب العلم، والحفاظ على كتاب الله وسنة رسوله.

وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد والرشاد، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباب الأول

حـول السنة، مكانتها، وحجيتها

الفصل الأولّ
تعريف السنة

أولا: تعريف السنة في اللغة: تطلق كلمة السنة في اللغة ويراد بها عدة معان منها:

١- الوجه لصقالته ومَلاسته، وقيل: هو حُرُّ الوجه، وقيل: دائرته، وقيل: الصُّورة وما أقبل عليك من الوجه، وقيل: الجبهة والجبينان، وكله من الصَّقالة والإسالة؛ قال ذو الرمة:

تُرِيك سُنَّة وَجْهٍ غيرَ مُقْرِفَةٍ مَلساءَ ليس بها خالٌ ولا نَدَبُ

٢- **سُنَّةُ اللَّه:** أحكامه وأَمره ونهيه مما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ونهى عنه وندب إليه قولا وفعلا مما لم ينطق الكتاب العزيز، ولهذا يقال في أدلة الشرع: الكتاب والسنة، أي القرآن والحديث، وسنة الله عز وجل قد تقال لطريقة حكمته، وطريقة طاعته، نحو قوله تعالى: (سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ)[١]، وقوله تعالى: (وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً)[٢]

٣- **سنة النبي** صلى الله عليه وسلم: طريقته التي كان يتحراها.

٤- السيرة حسنة كانت أَو قبيحة، قال خالد بن عُتْبة الهذلي:

فلا تَجْزَعَنْ من سِيرةٍ أَنتَ سِرْتَها فأَوَّلُ راضٍ سُنَّةً من يَسِيرُها

وفي التنزيل العزيز: (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً)[٣]؛ قال الزجاج: سُنَّةُ الأَوَّلين أَنهم عاينوا العذاب، فطلب المشركون أَن قالوا: اللهم إِن كان هذا هو الحَقَّ من عندك فأَمْطِرْ علينا حجارةً من السماء. وقد تكرر في الحديث ذكر السُّنَّة وما تصرف منها، والأَصل فيه الطريقة والسِّيرَة، وفي الحديث: (من سَنَّ سُنَّةً حَسَنةً فله أَجْرُها وأَجْرُ من عَمِلَ بها إلى يوم القيامة، ومن سَنَّ سُنَّةً سيّئَة

(١) [سورة الفتح: الآية:٢٣]

(٢) [سورة فاطر :الآية:٤٣]

(٣) [سورة الكهف: الآية:٥٥]

فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة)[1] يريد من عملها ليُقْتَدَى به فيها، وكل من ابتدأ أمراً عمل به قوم بعده قيل هو الذي سَنَّه، قال نُصَيْبٌ:

كأَنـي سَنَنتُ الـحُبَّ أَوَّلَ عاشِقٍ من الناسِ إذ أَحْبَبْتُ من بَيْنِهم وَحْدِي.

٥- البيان: سن الله سنة: أي بين طريقا قويما.

٦- السُّنَّةُ: الطريقة المحمودة المستقيمة، ولذلك قيل: فلان من أَهل السُّنَّة، ومعناه: من أَهل الطريقة المستقيمة المحمودة.

٧- السُّنَّة: الطبيعة، وبه فسر بعضهم قول الأَعشى:

كَرِيمٌ شَمَائِلُه من بَنِـي مُعاويةَ الأَكْرَمِينَ السُّنَنْ.

وللسنة في اللغة أطلاقات أخرى فلتراجع في كتب اللغة[2].

ثانيا: تعريف السنة شرعا:

يختلف معنى السنة عند كل فئة من أهل العلم حسب اختلاف الأغراض التي اعتنوا بها في أبحاثهم، فمثلا علماء أصول الفقه عنوا بالبحث عن أدلة الأحكام الشرعية، وعلماء الحديث عنوا بالبحث عن نقل كل ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم، من قول أو فعل أو غيره، وعلماء الفقه عنوا بالبحث عن الأحكام الشرعية من فرض وواجب ومندوب وحرام وغيره، والمتصدرون للوعظ والإرشاد عنوا بكل ما أمر به الشرع أو نهى عنه، وبالتالي اختلف المراد من لفظ السنة عند كل فريق، بل وقد يقع الاختلاف بين علماء الطائفة الواحدة[3].

فنجد السنة عند الأصوليين: هي كل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم مما ليس قرآنا من أقوال أو أفعال أو تقريرات مما يصلح أن يكون دليلا لحكم شرعي، وبعض الأصوليين يطلق لفظ السنة على: ما عمل به أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، سواء كان ذلك في القرآن أو ورد عن النبي صلى الله

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: الزكاة باب ٢٠: الحث على الصدقة، ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار ح ٢٣٤٨ جزء حديث، وفي كتاب: العلم، باب٦: من سن سنة حسنة أو سيئة، أو دعا إلى هدى أو ضلالة. حديث رقم ٦٧٤١.

(٢) لسان العرب ١٣ص٢٢١: مادة سنن بتصرف، وراجع تاج العروس ٩ص٢٢٤، الصحاح تاج اللغة ٥ – ٢١٣٨-٢١٣٩، القاموس المحيط٢-٦٣٣.

(٣) الحديث والمحدثون ص٩.

عليه وسلم، أو اجتهد فيه الصحابة– رضي الله عنهم– كجمع المصحف وتدوين الدواوين ونحو ذلك، ويدل على هذا الإطلاق قوله صلى لله عليه وسلم: (فان من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بهم، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)[1]، وذهب إلى هذا أيضا طائفة من المحدثين[2].

وأما علماء الفقه فعرفوا السنة بأنها: ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير افتراض ولا وجوب.

وأما علماء الوعظ والإرشاد فيريدون بالسنة: ما قابل البدعة فيقال: فلان على سنة إذا عمل على وفق ما عمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم، سواء كان ذلك مما نص عليه القران أم لا، ويقال: فلان على بدعة إذا عمل على خلاف ذلك.

وأما في اصطلاح المحدثين فالسنة هي: ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة سواء كان قبل البعثة أو بعدها، والسنة بهذا المعنى مرادفة عندهم للحديث النبوي[3]، وفرق بعضهم بين الحديث والسنة، فعرف الحديث بأنه: ما ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم، والسنة: ما كان عليها العمل المأثور في الصدر الأول، ولذلك قد ترد أحاديث تخالف السنة المعمول بها، فيلجأ العلماء حين إذ للتوفيق والترجيح، وعلى ذلك يحمل قول عبد الرحمن بن مهدي: الناس على وجوه، فمنهم من هو إمام في السنة، إمام في الحديث، ومنهم من هو إمام في السنة، وليس بإمام

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة باب٥ لزوم السنة ح ٤٥٩٦، أخرجه الترمذي في كتاب العلم ب١٦ ما جاء في الأخذ بالسنة، واجتناب البدع ح ٢٦٧٦ وقال: حديث حسن صحيح، أخرجه ابن ماجه في سننه، في المقدمة، باب٦: إتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ح٤٢.

(٢) السنة ومكانتها ص٥٨ بتصرف، والسنة قبل التدوين ص٢٠ بتصرف.

(٣) راجع قواعد التحديث للقاسمي ص٦١.

في الحديث، ومنهم من هو إمام في الحديث ليس بإمام في السنة، فأما من هو إمام في السنة، إمام في الحديث فسفيان الثوري[1].

(١) مصادر هذا المبحث الحديث والمحدثون ص٩و١٠، السنة قبل التدوين ص٢٠، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ٥٧,٥٨ الحديث النبوي مصطلحه، بلاغته، كتبه ص، في تقدمة الجرح والتعديل ص١١٨.

الفصل الثاني
أقسام السنة

من خلال النظر فيما تقدم من تعريفات للسنة، نجد أن أشمل هذه التعريفات هو تعريف المحدثين، ومنه يمكن أن نستخلص أقسام السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم:-

١- **السنة القولية:**- هي الأحاديث التي قالها صلى الله عليه وسلم، وصحت نسبتها إليه، كقوله صلى الله عليه وسلم: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان) [١]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان) [٢]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)[٣]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع)[٤]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الإيمان، باب ٢: دعاؤكم إيمانكم حديث رقم ٨، ومسلم في صحيحه في كتاب: الإيمان، باب ٥: أركان الإيمان، ودعائمه العظام، حديث رقم ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤بألفاظ متقاربة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: الإيمان، باب ٣: أمور الإيمان ح٩، وأخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: الإيمان، باب ١٢بيان عدد شعب الإيمان، وأفضلها وأدناها..ح ١٥١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان باب٤: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده هـ، حديث رقم ١٠، وأخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب١٤: بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل، حديث رقم ١٦٠، ١٦١، ١٦٢ باختصار.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: الاستئذان، باب ١٣: التسليم والاستئذان ثلاثا حديث رقم ٦٢٤٥، ومسلم في كتاب: الأدب، باب٧: الاستئذان حديث رقم: ٥٥٩١ و٥٥٩٢، ٥٥٩٣ بألفاظ متقاربة.

٢- **السنة الفعلية:**- وهي الأفعال التي صدرت عنه صلى الله عليه وسلم في مختلف أحواله، وصحت نسبتها إليه صلى الله عليه وسلم، مثل كيفية أدائه للصلاة، و مناسك الحج، وسائر العبادات، وكذلك العادات مثل: كيفية أكله وشربه ومشيه وجلوسه وقيامه، ونومه ويقظته، وغيره.

٣-**السنة التقريرية:**- والمراد بها كل ما أقره النبي صلى الله عليه وسلم من أقوال أو أفعال صدرت عن بعض أصحابه فشهدها أو لم يشهدها، ولكن علم بها، فيوافق على ذلك مظهرا استحسانه وتأييده، أو يسكت عن ذلك ولا ينكره، فيعد ذلك إقرارا منه صلى الله عليه وسلم لهذا العمل وموافقة عليه، إذ لو كان هذا منكرا لنهى عنه صلى الله عليه وسلم، ومثال ذلك:- إقراره لاجتهاد الصحابة في أمر صلاة العصر في غزوة بني قريظة حين قال لهم: (لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة)[١]، ففهم بعضهم النهي على حقيقته، فأخرها إلى ما بعد المغرب، وفهمه بعضهم على أن المقصود حث الصحابة على الإسراع، فصلاها في وقتها، وبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ما فعل الفريقان، فأقرهما ولم ينكر عليهما، ومثل إقراره لعائشة على اللعب بالبنات، روى البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت ألعب بالبنات عند النبي صلى الله عليه وسلم، وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم. إذا دخل يتقمعن منه، فيسر بهن إلي فيلعبن معي[٢]، ومثل أكل الضب على مائدته صلى الله عليه وسلم، وعدم إنكاره لذلك، روى البخاري بسنده عن ابن عباس عن خالد بن الوليد أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ميمونة – وهي خالته وخالة ابن عباس- فوجد عندها ضبا محنوذا قدمت به أختها حفيدة بنت الحارث من نجد، فقدمت الضب

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب:صلاة الخوف، باب٥: صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء، حديث رقم٩٤٦، وفي كتاب: المغازي، باب٢٩: غزوة الخندق، وهي الأحزاب، حديث رقم ٤١١٩، ومسلم في صحيحه في كتاب: الجهاد، باب رقم ٢٣حديث رقم، ٤٥٧٧ولكن ذكر فيه لفظ: الظهر بدل العصر.

(٢) في صحيحه في الأدب باب ٨١ الانبساط إلى الناس حديث رقم ٦١٣٠.

لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان قلما يقدم يده لطعام حتى يحدث به ويسمى له، فأهوى رسول الله يده إلى الضب، فقالت امرأة من النسوة الحضور: أخبرن رسول الله ما قدمتن له، هو الضب يا رسول الله، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده عن الضب، فقال خالد بن الوليد: أحرام الضب يا رسول الله؟ قال: (لا، ولكنه ليس بأرض قومي، فأجدني أعافه) قال خالد: فاجتززته فأكلته، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلي(١).

٤- السنة الوصفية:- وهي نوعان:

الأولى: الصفة الخلقية، وهي التي تصف خلقه صلى الله عليه وسلم: أي تصف هيأته صلى الله عليه وسلم، وصفاته الجسمية، ومن ذلك: ما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: ما مسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف النبي صلى الله عليه وسلم، ولا شممت ريحا قط أو عرفا قط أطيب من ريح أو عرف النبي صلى الله عليه وسلم(٢)، وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم: مربوعا، بعيد ما بين المنكبين، له شعر يبلغ شحمة أذنيه، رأيته في حلة حمراء، لم أر شيئا قط أحسن منه(٣).

الثانية: الصفة الخلقية: وهي التي تصف خلقه صلى الله عليه وسلم: أي تتحدث عن صفاته الخلقية صلى الله عليه وسلم وشمائله، مثل الأحاديث التي تحدثت عن رحمته ورأفته وحلمه وتواضعه وشجاعته

---

(١) أخرجه في كتاب: الأطعمة، باب: ما كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يأكل حتى يسمى له فيعلم ما هو ح ٥٣٩١، وفي كتاب: الذبائح والصيد باب: ٣٣ الضب ح ٥٥٣٧، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الصيد والذبائح، باب: ٧ إباحة الضب في الأكل، حديث رقم، ٥٠٠٨، ٥٠٠٩.

(٢) أخرجه البخارى في كتاب: المناقب ب: ٢٣ صفة النبي صلى الله عليه وسلم حديث ٣٥٦١.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: مناقب، باب: ٢٣ باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم حديث ٣٥٥١.

وكرمه وحيائه وغير ذلك من محاسن ومكارم أخلاقه صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك: قول ابن عباس رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس.....الحديث[١].

وقول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: كان النبي صلى الله عليه وسلم. "أشد حياء من العذراء في خدرها"[٢].

وقول عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: "لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا...الحديث"[٣].

٥- **السنة الراشدة:** وهي ما عمل عليه الصحابة رضي الله عنهم، وثبت عنهم، وجد ذلك في الكتاب أو السنة، أو لم يوجد، لكونه إتباعا لسنة ثبتت عندهم لم تنقل إلينا، أو اجتهادا مجمعا عليه منهم أو من خلفائهم، فان إجماعهم إجماع، وعمل خلفائهم راجع أيضا إلى حقيقة الإجماع من جهة حمل الناس عليه حسبما اقتضاه النظر المصلحي عندهم[٤].

ودليل إطلاق السنة الراشدة على عمل الصحابة قوله صلى الله عليه وسلم:(فان من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بهم، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: بدء الوحي، باب٥، حديث رقم٦، وفي كتاب: الصيام، باب٧: أجود ما كان النبي ص يكون في رمضان ح ١٩٠٢، وفي كتاب: بدء الخلق، باب٦: ذكر الملائكة ح ٣٢٢٠، وفي كتاب: المناقب، باب: ٢٣ صفة النبي صلى الله عليه وسلم ح ٣٥٥٤، وفي كتاب: فضائل القرآن، باب: ٧ كان جبريل يعرض القران على النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: المناقب،ب: ٢٣ صفة النبي حديث رقم ٣٥٦٢.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، باب: ٢٣ صفة النبي حديث ١٨٢٤، مصادر هذا المبحث السنة قبل التدوين ١٨-١٩، السنة ومكانتها ص٥٧-٥٨.

(٤) الموافقات للشاطبى ٤-٤ بتصرف.

الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)[1]، فجعل صلى الله عليه وسلم لهم سنة، تنسب إليهم، وأمر بلزومها، والتمسك بها بأبلغ وجوه التمسك مع سنته صلى الله عليه وسلم، واستدل بذلك على أن الواحد من الخلفاء الراشدين– أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي– رضي الله عنهم– إذا قال قولا وخالفه غيره من الصحابة كان المصير إلى قوله أولى.

ومثال ما سن فيه الصحابة: تضمين الصناع، فلقد أسقط صلى الله عليه وسلم الضمان عن الأجراء، فقضى الخلفاء الراشدون بتخصيص ذلك بتضمين الصناع لأنهم يغيبون على الأمتعة، ويغلب عليهم التفريط، فاقتضت المصلحة ذلك.

وجمع المصحف: بعدما كان مفرقا في الصحف وغيرها.

وحمل الناس على القراءة بحرف واحد، وتدوين الدواوين وغيره، كل ذلك من السنة الراشدة، وقد أوصى صلى الله عليه وسلم بالعمل بها، وإنما أضاف صلى الله عليه وسلم السنة إلى الخلفاء الراشدين لقوة واستقامة سنتهم، وإلا فكل مسألة لم نجد فيها كتاب ولا سنة فإنا نأخذ فيها بقول الصحابي سواء كان من الخلفاء الراشدين أم لا، فإذا اجتمع قول خليفة وقول غيره، قدم قول الخليفة، وإذا لم يوجد في المسألة كتاب ولا سنة ووجد فيها عمل الصحابة رضي الله عنهم، أو عمل أحدهم فالعمدة عليه[2].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب: السنة، باب٥: لزوم السنة ح ٤٥٩٦، أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب: العلم، باب١٦: ما جاء في الأخذ بالسنة، واجتناب البدع، حديث ٢٦٧٦، وقال: حديث حسن صحيح، أخرجه ابن ماجه في سننه، في: المقدمة، باب٦: إتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ح٤٢.

(٢) الموافقات ٤–٦:٤ بتصرف، المدخل إلى السنة النبوية بتصرف٣٢.

الفصل الثالث
مكانة السنة في الدين، ومدى حجيتها

إن للسنة شأن عظيم ومكانة رفيعة في الدين الإسلامي، فهي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، فمرتبتها تلي مرتبة كتاب الله، وقد اتفق المسلمون قديما وحديثا إلا من شذ من أصحاب الأهواء على أن السنة متى صحت نسبتها إليه صلى الله عليه وسلم وجب الاحتجاج بها، فهي أصل من أصول الدين، ولها قوة تشريعية ملزمة، ولا يسع المسلم إلا إتباع أوامرها، والوقوف عند حدودها، قال الإمام الشافعي: (قد وضع الله رسوله من دينه وفرضه وكتابه الموضع الذي أبان جل ثناؤه- أنه جعله علما لدينه، بما افترض من طاعته، وحرم من معصيته)[١]، وقال في موضع آخر: (فكل من قبل عن الله فرائضه قبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سنته، بفرض الله طاعة رسوله على خلقه، وأن ينتهوا إلى حكمه، ومن قبل عن رسول الله فعن الله قبل، لما افترض الله من طاعته)[٢]

وقال ابن حزم: (لما بينا أن القرآن هو الأصل المرجوع إليه في الشرائع نظرنا فوجدنا فيه إيجاب طاعة ما أمرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووجدناه عز وجل يقول فيه واصفا لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[٣] فصح لنا بذلك أن الوحي من الله عز وجل إلى رسوله صلى الله عليه وسلم على قسمين أحدهما: وحي متلو مؤلف تأليفا معجز النظام وهو القرآن، والثاني: وحي مروي منقول غير مؤلف لا معجز النظام ولا متلو لكنه مقروء، وهو الخبر الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)[٤]

وقال السيوطي: (اعلموا يرحمكم الله أن من العلم كهيئة الدواء، ومن الآراء كهيئة الخلاء، لا تذكر إلا عند داعية الضرورة، وأن مما فاح ريحه في هذا الزمان، وكان دارسا بحمد الله تعالى، وهو أن قائلا زنديقا أكثر في كلامه أن السنة النبوية والأحاديث المروية – زادها الله شرفا وعلوا- لا يحتج بها، وأن

(١) الرسالة ص: ١٣.
(٢) الرسالة ص: ٣٣.
(٣) سورة النجم ٣- ٤.
(٤) الإحكام في أصول الأحكام، ص٩٦.

الحجة في القرآن خاصة، وأورد على ذلك حديث: (ما جاءكم عني من حديث فاعرضوه على القرآن، فما وجدتم له أصلا فخذوا به، وإلا فردوه) هكذا سمعت هذا الكلام بجملته منه، وسمعه خلائق غيري، فمنهم من لا يلقي لذلك بالا، ومنهم من لا يعرف أصل هذا الكلام، ولا من أين جاء، فأردت أن أوضح للناس أصل ذلك، وأبين بطلانه، وأنه من أعظم المهالك.

فاعلموا رحمكم الله أن من أنكر كون حديث النبي صلى الله عليه وسلم قولا كان أو فعلا بشرطه المعروف في الأصول حجة كفر، وخرج عن دائرة الإسلام، وحشر مع اليهود والنصارى، أو مع من شاء من فرق الكفرة، روي الإمام الشافعي حديثا، وقال إنه صحيح، فقال له قائل: أتقول به يا أبا عبد الله ؟ فاضطرب، وقال: يا هذا أرأيتني نصرانيا؟ أرأيتني خارجا من كنيسة؟ أرأيتني في وسطي زنارا؟ أروي حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أقول به؟ وأصل هذا الرأي الفاسد أن الزنادقة، وطائفة من الغلاة ذهبوا إلى إنكار الاحتجاج بالسنة، والاقتصار على القرآن، وهم في ذلك مختلفو المقاصد.

فمنهم من كان يعتقد أن النبوة لعلي، وأن جبريل عليه السلام أخطأ في نزوله إلى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

ومنهم من أقر للنبي صلى الله عليه وسلم بالنبوة، ولكن قال: الخلافة كانت حقا لعلي، فلما عدل بها الصحابة عنه إلى أبي بكر رضي الله عنه– قال هؤلاء المخذولون لعنهم الله: كفروا حيث جاروا، وعدلوا بالحق عن مستحقه، وكفروا عليا رضي الله عنه أيضا لعدم طلبه حقه، فبنوا على ذلك رد الأحاديث كلها، لأنها عندهم بزعمهم من رواية قوم كفار، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وهذه آراء ما كنت أستحل حكايتها لولا ما دعت إليه الضرورة من بيان أصل هذا المذهب الفاسد، وقد كان أهل هذا الرأي موجودين بكثرة في زمن الأئمة فمن بعدهم، وتصدى الأئمة الأربعة وأصحابهم في دروسهم ومناظراتهم وتصانيفهم للرد عليهم) [1].

وقال الإمام الشوكاني: إن ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية لا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في الإسلام) [2].

---

(١) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، ص:١٣٩.

(٢) إرشاد الفحول، ص٢٩.

ويكفينا لمعرفة قدر السنة ومكانتها في الدين، ومدى حجيتها، أن نرجع إلى كتاب الله، ونبحث في الآيات الكريمة التي تحدثت عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن سنته، فنجد أن الله تعالى:

١- اخبرنا بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى، فقال تعالى: (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)[١]، فكل ما ينطق به الرسول صلى الله عليه وسلم على وجه التشريع فإن مصدره الوحي كالقرآن الكريم، إلا أن السنة موحى بها بالمعنى فقط.

ومما يدل على ذلك أيضا إخباره سبحانه وتعالى أنه صلى الله عليه وسلم قد أوتي الكتاب والحكمة، ليعلم الناس أمور دينهم، فقال جل وعلا:) لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ) [٢]، وقال تعالى: (وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ) [٣]، وقد ذهب جمهور العلماء والمحققين إلى أن الحكمة شئ آخر غير القرآن، وهي ما أطلعه الله عليه من أسرار دينه وأحكام شريعته، ويعبر العلماء عنها بالسنة.

قال الإمام الشافعي في الرسالة: (فذكر الله الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم)[٤].

٢- أمرنا بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، والأخذ بما يأتينا به، والانتهاء عما ينهانا عنه، فقال تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا)[٥]

وقال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ)[٦]

---

(١) سورة النجم، آية٣- ٤

(٢) سورة آل عمران، آية ١٦٤.

(٣) سورة النساء، آية ١١٣.

(٤) الرسالة، ص٧٨.

(٥) سورة الحشر، آية ٧.

(٦) سورة النساء، آية ٦٤.

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ)(١)
وقال تعالى: (قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ)(٢)
وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ) (٣)
وقال جل وعلا: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ)(٤)، وقد تكرر هذا الأمر في كثير من الآيات بما يدل على وجوب طاعته ولزوم أمره صلى الله عليه وسلم.

٣- أخبرنا سبحانه أن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة له تعالى، فقال: (مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ)(٥)

٤- أخبرنا جل وعلا بأن لنا في رسوله صلى الله عليه وسلم القدوة والأسوة الحسنة التي يجب أن نقتدي ونتأس بها ونتبعها، فقال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)(٦)

٥- أعلمنا سبحانه أن بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم بيعة له فقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً) (٧)

٦- جعل سبحانه وتعالى طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وإتباعه سببا لجلب محبة الله وغفران الذنوب، فقال تعالى: (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) (١)

---

(١) سورة الأنفال، آية ٢٠.
(٢) سورة آل عمران، آية ٣٢.
(٣) سورة النساء، آية ٥٩.
(٤) سورة الأعراف، آية ١٥٧.
(٥) سورة النساء، آية ٨٠.
(٦) سورة الأحزاب، آية ٢١.
(٧) سورة الفتح، آية ١٠.

٧- نفى سبحانه وتعالى الإيمان عمن لم يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يختلف فيه مع غيره، أو حكمه ولم يرض بحكمه صلى الله عليه وسلم، ولم يسلم له تمام التسليم، وأقسم سبحانه بذاته المقدسة على ذلك، فقال تعالى: (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً) (٢)

٨- أخبر سبحانه بأنه لا خيار لنا في أي أمر بعد حكمه صلى الله عليه وسلم، وأن من يعصى ويخالف فهو في ضلال مبين، فقال تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً) (٣)

٩- بين سبحانه وتعالى أن مخالفة أمره صلى الله عليه وسلم هو سبب في حصول الفتن وسوء المآل والعذاب الأليم، فقال تعالى: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(٤)

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي دلت على وجوب إتباعه صلى الله عليه وسلم، والعمل بسنته، والاحتجاج بها، واعتبارها من مصادر التشريع، هذا وقد صحت أحاديث كثيرة دلت على ذلك أيضا منها ما روي:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى) قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: (من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى)(٥).

٢- عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع، فأوصنا، قال: (أوصيكم بتقوى الله

---

(١) سورة آل عمران، آية ٣١.

(٢) سورة النساء، آية ٦٥.

(٣) سورة الأحزاب، آية ٣٦.

(٤) سورة النور، آية ٦٣.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب: الاعتصام بالسنة، باب١: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (بعثت بجوامع الكلم) حديث رقم ٧٢٨٠.

والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد حبشي، وأنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة) [1]، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

٣- عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب في حجة الوداع فقال:(قد يئس الشيطان بأن يعبد بأرضكم، ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم، فاحذروا يا أيها الناس، إني قد تركت ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، كتاب الله وسنة نبيه...الحديث) [2].

٤- عن شعبة عن أبي عون عن الحارث بن عمرو بن أخي المغيرة عن أناس من أهل حمص من أصحاب معاذ بن جبل رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبعث معاذا إلى اليمن قال: (كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟) قلت: أقضي بما في كتاب الله، قال: (فان لم تجد كتاب الله؟)، قال: فبسنة رسول الله، قال: (فان لم تجد في سنه رسول الله، ولا في كتاب الله؟) قال: أجتهد برأيي، ولا آلو. فضرب رسول الله صدره، وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله) [3].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب العلم، باب خطبته صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ١- ٩٣ وقال الحاكم: وسائر رجاله متفق عليهم، وأقره الذهبي.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب: القضاء، باب١١: اجتهاد الرأي في القضاء ح ٣٥٨٩، والترمذي في سننه، كتاب: الأحكام، باب ٣: ما جاء في القاضي كيف يحكم؟ ح ١٣٢٧، وقال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده عندي بمتصل، أبو عون الثقفي اسمه محمد بن عبيد الله. وقال صاحب عون المعبود: وهذا الحديث أورده الجو زقاني في الموضوعات، وقال: هذا حديث باطل، رواه جماعة عن شعبة، وقد تصفحت عن هذا الحديث في المسانيد للكبار والصغار، وسألت من لقيته من أهل العلم بالنقل عنه، فلم أجد له طريقا غير هذا، والحارث بن عمرو هذا مجهول،

٥- عن المقداد بن معد يكرب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ألا إنني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السبع، ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإن لم يقروه فعليه أن يعقبهم بمثل قراه) (١).

وقال العلامة أبو الطيب محمد شمس الحق آبادي: الحديث سكت عنه المنذري، وقوله: (أوتيت الكتاب) أي القرآن، (ومثله معه) أي الوحي الباطن غير المتلو، أو تأويل الوحي الظاهر وبيانه بتعميم وتخصيص وزيادة ونقص،

وأصحاب معاذ من أهل حمص لا يعرفون، ومثل هذا الإسناد لا يعتمد عليه في أصل من أصول الشريعة، فإن قيل: إن الفقهاء قاطبة أورده في كتبهم، واعتمدوا عليه؟ قيل: هذا طريقة، والخلف قلد فيه السلف، فإن أظهروا طريقا غير هذا مما يثبت عند أهل النقل رجعنا إلى قولهم، وهذا مما لا يمكنهم البتة، وقال الحافظ جمال الدين المزي: الحارث بن عمرو لا يعرف إلا بهذا الحديث، وقال البخاري: لا يصح حديثه، ولا يعرف. وقال الذهبي في الميزان: تفرد به أبو عون محمد بن عبد الله الثقفي عن الحارث، وما روى عن الحارث غير أبي عون، فهو مجهول، قلت الحديث له شواهد موقوفة عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عباس، وقد أخرجها البيهقي في سننه عقب تخريجه لهذا الحديث تقوية له، كذا في مرقاة الصعود، وقال أبو بكر الخطيب: وقد قيل أن عبادة بن نسي رواه عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ، وهذا إسناد متصل ورجاله معروفون بالثقة، على أن أهل العلم قد نقلوه واحتجوا به، فوقفنا بذلك على صحته عندهم، كما وقفنا على صحة حديث: لا وصية لوارث، وحديث هو الطهور ماؤه والحل ميتته، وحديث الدية على العاقلة، وان كانت هذه الأحاديث لا تثبت من جهة الإسناد، ولكن لما نقلها الكافة عن الكافة غنوا بصحتها عندهم عن طلب الإسناد لها، فكذلك حديث معاذ لما احتجوا به جميعا غنى عن طلب الإسناد له. من عون المعبود ٩- ٤٠٣، ٤٠٤.

(١) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب: السنة، باب٥: في لزوم السنة، حديث رقم ٤٥٩٣.

أو أحكاما ومواعظ وأمثالا تماثل القرآن في وجوب العمل، أو في المقدار، وقال البيهقي: هذا الحديث يحتمل وجهين:

أولهما: أن أنه أوتي من الوحي الباطن غير المتلو مثل ما أعطي من الظاهر ألمتلو، **والثاني:** أنه أوتي الكتاب وحيا يتلى، وأوتي مثله من البيان، أي أذن له أن يبين ما في الكتاب فيعم ويخص، وأن يزيد عليه فيشرح ما ليس في الكتاب له ذكر، فيكون ذلك في وجوب الحكم به، ولزوم العمل به كالظاهر ألمتلو من القرآن، وقوله صلى الله عليه وسلم: (ألا يوشك رجل شبعان.....) قال الخطابي: يحذر بذلك من مخالفة السنن التي سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ليس له ذكر في القرآن على ما ذهب إليه الخوارج والروافض من الفرق الضالة، فإنهم تعلقوا بظاهر القرآن، وتركوا السنن التي ضمنت بيان الكتاب، فتحيروا وضلوا، وقال الخطابي: في الحديث دليل على أن لا حاجة بالحديث أن يعرض على الكتاب، وأنه مهما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شئ كان حجة بنفسه، فأما ما رواه بعضهم أنه قال: إذا جاءكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله، فإن وافقه فخذوا به، فإنه حديث باطل لا أصل له، وقد حكى زكريا الساجي عن يحيى بن معين أنه قال: هذا حديث وضعه الزنادقة[1].

الفصل الرابع
علاقة السنة بالقرآن الكريم

لم يكن للأحكام في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم مصدر غير القران والسنة، ففي القرآن الأصول العامة للأحكام الشرعية، دون التعرض إلى تفصيلها، والتفريع عليها، ليكون مسايرا لكل الأزمنة، ويبقى صالحا لكل أمة مهما كانت بيئتها وأعرافها، وإلى جانب هذه الأصول في القران الكريم نجد العقائد والعبادات وقصص الأمم الغابرة والآداب العامة الأخلاق وغيره،

وقد جاءت السنة في الجملة موافقة للقران تفسر مبهمة، وتفصل مجمله، وتقيد مطلقة، وتخصص عامه، وتشرح أحكامه، كما جاءت بأحكام لم ينص عليها

(١) عون المعبود ١٢-٢٧٧ – ٢٧٨.

القران تتمشى مع قواعده، وتشرح أهدافه وغاياته، فكانت السنة تطبيقا عمليا لما جاء به القرآن الكريم[١].

وإذا تتبعنا السنة من حيث بيانها للأحكام التي اشتمل عليها القران إجمالا أو تفصيلا، وجدناها ترد على هذه الوجوه الأربعة الآتية:

الأول: أن تكون موافقة لما جاء في القرآن، فتكون واردة حينئذ مورد التأكيد، ومن أمثلة ذلك:

الأحاديث التي دلت على وجوب الصلاة والزكاة والحج والصوم، دون التعرض لشرائطها وأركانها، وكيفيتها، وغير ذلك، فإنها موافقة للآيات التي وردت في ذلك، كحديث: بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا) [٢] فإنه موافق لقوله تعالى: (وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ) [٣]، ولقوله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[٤]، ولقوله تعالى: (وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً)[٥]

ومثل قوله صلى الله عليه وسلم: (اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله) [٦] وقوله صلى الله عليه وسلم: (استوصوا

---

(١) السنة قبل التدوين ص٢٢، ٢٣ بتصرف.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) سورة البقرة، آية: ٨٣.

(٤) سورة البقرة، آية ١٨٣.

(٥) سورة آل عمران، آية ٩٧.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، قي كتاب: الحج، باب ١٩: حجة النبي صلى الله عليه وسلم حديث رقم٢٩٤١ في حديث طويل، وأبو داود في سننه، في كتاب: المناسك، في باب: صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم، الحديث ١٩٠٥ س١١٦٣.

بالنساء خيرا.....الحديث) [1]، فإنه يوافق قوله تعالى: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)[2]

ومثل قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته)[3]. فإنه يوافق قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ)[4] **وقوله** صلى الله عليه وسلم **(المسلم أخو المسلم...الحديث)** [5]، **فإنه موافق لقوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)**[6]، **والأمثلة في هذا أكثر من أن يتسع المجال لحصرها؛ فكل ما جاء به رسول الله** صلى الله عليه وسلم، موافق للقرآن جملة وتفصيلا، وإن وجد اختلاف فهو ظاهري؛ فالكل من عنده سبحانه، فقد قال جل وعلا: (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) [7].

الثاني:- أن تكون بيانا وتوضيحا للمراد من الآيات القرآنية الكريمة، ومن أمثلة هذا النوع: -

أ- **بيان المجمل في الكتاب العزيز**: كالأحاديث التي جاء فيها تفصيل أحكام الصلاة والزكاة والصيام والحج وغيره.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: النكاح، باب٨٠: الوصاة بالنساء حديث ٥١٨٥، وفي كتاب: أحاديث الأنبياء، باب ١: خلق آدم وذريته حديث ٣٣٣١، و مسلم في صحيحه، في كتاب: الرضاع، باب ١٨: الوصية بالنساء حديث ٣٦٣١، ٣٦٣٢ جزء حديث.

(٢) سورة النساء، آية ١٩.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب: الفرائض، باب ١٠: ما جاء الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين- سورة هود، آية ١٨، حديث رقم ٤٦٨٦.

(٤) سورة هود، آية ١٠٢.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: المظالم، باب١٠: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، ح١٤٨٧.

(٦) سورة الحجرات، آية:١٠

(٧) سورة النجم،آية ٣- ٤.

ب- **تقييد المطلق:** كالأحاديث التي بينت المراد من اليد في قوله تعالى: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا)[1] وأنها اليمنى، وأن القطع من الرسغ لا من المرفق.

ج- **تخصيص العام:** كالحديث الذي بين أن المراد من الظلم في قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ)[2] هو الشرك، فان بعض الصحابة فهم منه العموم، حتى قال: أينا لم يظلم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ليس ذلك، إنما هو الشرك)[3].

د- **توضيح المشكل:** كالحديث الذي بين المراد من الخيطين في قوله تعالى: (وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ)[4]، فهم منه بعض الصحابة العقال الأبيض والعقال الأسود، روى البخاري بسنده عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: لما نزلت: [حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود]، عمدت إلى عقال أسود، وإلى عقال أبيض، فجعلتها تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي، فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكرت له ذلك، فقال: صلى الله عليه وسلم: (إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار) [5].

---

(١) سورة المائدة، آية ٣٨.

(٢) سورة الأنعام، آية ٨٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الأنبياء، باب٤١: قول الله تعالى: [لقمان ١٢- ١٨] (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله- إلى قوله-إن الله لا يحب كل مختال فخور) حديث ٣٤٢٩، وفي كتاب: التفسير، تفسير سورة لقمان، باب١: لا تشرك بالله، إن الشرك لظلم عظيم) سورة لقمان، آية١٣، ح ٤٧٧٦، وفي كتاب: استتابة المرتدين، باب١: إثم من أشرك بالله، وعقوبته في الدنيا والآخرة،ح ٦٩١٨، وفي الكتاب نفسه، باب ٩: ما جاء في المتأولين، ح٦٩٣٦.

(٤) سورة البقرة، آية ١٨٧.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الصيام، باب١٦: قول الله تعلى [البقرة:١٨٧]وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، ثم أتموا الصيام إلى الليل] ح ١٩١٦، وفي كتاب: التفسير، باب٢٨: وكلوا واشربوا حتى

الثالث: أن تكون دالة على حكم سكت عنه القرآن، ومن أمثلة هذا النوع: – قوله صلى الله عليه وسلم في البحر: (هو الطهور ماؤه الحل ميتته)[1].
والأحاديث الواردة في تحريم كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير، وتحريم لحوم الحمر الأهلية.
،والأحاديث الواردة في تحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها، وحد شرب الخمر، ورجم الزاني المحصن، وغير ذلك كثير.

الرابع: أنها تكون ناسخة لحكم ثبت بالكتاب، على رأي الجمهور الذين ذهبوا إلى جواز نسخ الكتاب بالسنة، ومثال ذلك: قوله صلى الله عليه وسلم: (لا وصية لوارث)[2]، فانه ناسخ لحكم الوصية للوالدين والأقربين الوارثين الثابت بقوله تعالى في سورة البقرة: (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين)[3] وحديث (خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلا، البكر بالبكر

يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، ثم أتموا الصيام إلى الليل–ح ٤٥٠٩، وأخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: الصيام، باب٨: بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر ح٢٥٢٨.

(١) أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب: الطهارة: باب٤١: الوضوء بماء البحر، حديث٨٣، والترمذي في سننه، في كتاب: الطهارة، باب٥٢: ما جاء في ماء البحر أنه طهور، ح ٦٩، وابن ماجة في سننه، في كتاب: الطهارة وسننها، باب٣٨: الوضوء بماء البحر حديث ٣٨٦، والنسائي في سننه، قي كتاب: الطهارة باب٤٧: ماء البحر، ح ٥٩.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب: الوصايا، باب٥: ما جاء لا وصية لوارث حديث ٢١٢٠ و ٢١٢١، وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي في سننه، في كتاب: الوصايا، باب ٥: إبطال الوصية للوارث ح٣٦٤٠، وابن ماجه في سننه في كتاب: الوصايا، باب٦: لا وصية لوارث ح، ٢٧١٣، ٢٧١٤.

(٣) سورة البقرة، آية ١٨٠.

جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم)[1]، فهو ناسخ لآية النساء: (واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم)[2] وقد قال الله عز وجل فيما هو من قبيل النوع الثالث والرابع: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)[3]، وقال تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)[4]

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: الحدود، باب٣: حد الزنا حديث ٤٣٩٠، ٤٣٩١، وأبو داود في سننه، في كتاب: الحدود، باب في الرجم حديث٤٤١٦،٤٤١٥، والترمذي في سننه، في كتاب: الحدود، باب: الرجم على الثيب ح ١٤٣٤، وابن ماجة في سننه، في كتاب: الحدود باب: حد الزنا ح٢٥٥٠.

(٢) سورة النساء: الآية ١٥.

(٣) سورة الحشر :آية ٧

(٤) الأعراف: آية١٥٧ –١٥٨، مصادر هذا المبحث: الحديث والمحدثون– ص٣٨– ٣٩ بتصرف، وراجع السنة ومكانتها ص٣٤٤–٣٤٧و–دراسات في الحديث النبوي ص١٢، الحديث النبوي – مصطلحه– بلاغته– كتبه– ص٢٠:٢٢، دراسات في الحديث النبوي– ص١٢:١٤، دفاع عن السنة ص١٢:١٣.

البـــاب الثانـى

حـول الصحابة والتابعين وأتباعهم

الفصـل الأول
تعـريف الصحـابي

الصحابي لغة: مشتق من الصحبة، وليس مشتقا من قدر منها مخصوص بل هو جار على كل من صحب غيره قليلا كان أو كثيرا، كما أن القول: مكلم ومخاطب وضارب مشتق من المكالمة والمخاطبة والضرب، وجار على كل من وقع منه ذلك قليلا كان أو كثيرا، وكذلك جميع الأسماء المشتقة من الأفعال، وكذلك يقال: صحبت فلانا حولا ودهرا، وسنة وشهرا، ويوما وساعة، فيوقع اسم المصاحبة بقليل ما يقع وكثيرة(١).

وفي الاصطلاح:

قال ابن الصلاح: (اختلف أهل العلم في أن الصحابي من؟ فالمعروف من طريقة المحدثين أن كل مسلم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من الصحابة، قال البخاري: من صحب النبي صلى الله عليه وسلم أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه، وبلغنا عن أبي المظفر

السمعاني المروزي أنه قال: أصحاب الحديث يطلقون اسم الصحابة على كل من روى حديثا أو كلمة، ويتوسعون في ذلك حتى يعدون من رآه رؤية من الصحابة، وهذا لشرف منزلة النبي صلى الله عليه وسلم، وأعطوا كل من رآه حكم الصحابة)(٢).

وقال ابن حجر: أصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي: من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على الإسلام، فيدخل فيمن لقيه: من طالت مجالسته أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم

(١) الكفاية في علم الرواية ص٥١، وتدريب الراوي٢ – ٢١١ وراجع لسان العرب ج١ ص٥١٩، فتح المغيث ٣-٩٣.

(٢) مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ص١٤٦.

يغز، ومن رآه ولم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى) وهذا رأي جمهور المحدثين[1].

وقال بعض أصحاب الأصول أنه: من طالت صحبته للنبي صلى الله عليه وسلم، وكثرت مجالسته له عن طريق التبع له والأخذ عنه، وقد روي قول قريب من هذا عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب[2].

كيف يعرف الصحابي؟

يعرف الصحابي بأحد الأدلة الآتية:

١-التواتر، كأبي بكر وعمر وبقية العشرة في خلق منهم.

٢- الاستفاضة القاصرة عن التواتر.

٣- أن يروى عن آحاد الصحابة أنه صحابي.

٤- بقوله وإخباره عن نفسه بعد ثبوت عدالته بأنه صحابي[3].

عدالة الصحابة:

إن لصحابة النبي صلى الله عليه وسلم شرف عظيم، ومكانة كبيرة عند جمهور المسلمين من أهل العلم وغيرهم، لشرف صحبتهم للرسول صلى الله عليه وسلم، ولكونهم حملة الوحي ونقلته عنه صلى الله عليه وسلم، فقالوا بعدالتهم جميعا، وهو أمر قطعي لا شك فيه، فهو مما علم من الدين بالضرورة .

قال النووي: (الصحابة كلهم عدول، من لابس الفتن وغيرهم بإجماع من يعتد به) [4].

وقال ابن الصلاح: (للصحابة بأسرهم خصيصة وهي أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم، بل ذلك أمر مفروغ منه، لكونهم على الإطلاق معدلين

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة١- ٤-٥. وراجع تدريب الراوي٢- ٢٠٨، ٢٠٩، قواعد التحديث ص٢٠٠، الحديث والمحدثون ص١٢٩، السنة قبل التدوين ص ٢٥٣،٢٥٤، والكفاية في علم الرواية ص٤٨.

(٢) مقدمة ابن الصلاح ص١٤٦، وتدريب الراوي ٢-٢١٠بتصرف

(٣) مقدمة ابن الصلاح ص ١٤٦، وتدريب الراوي٢-٢١٣.

(٤) تدريب الراوي ٢-٢١٤

بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به في الإجماع من الأمة)[١] فقد قال الله تبارك وتعالى: (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)[٢]

وقال جل وعلا: (وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ)[٣]

وقال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ)[٤] وهذا خطاب مع الموجودين حينئذ.

وقال سبحانه: (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً)[٥]

ونصوص السنة الشاهدة بذلك كثيرة منها:

حديث أبي سعيد المتفق على صحته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده" لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه)[٦].

ثم إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة، ومن لابس الفتن منهم كذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع، إحسانا للظن بهم، ونظرا

---

(١) مقدمة ابن الصلاح ص١٤٦.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٠٠.

(٣) سورة الأنفال: آية ٧٤.

(٤) سورة البقرة: آية ١٤٣.

(٥) سورة الفتح: آية ٢٩.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب: فضائل الصحابة، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا ح ٣٦٧٣، ومسلم في صحيحه، في كتاب: فضائل الصحابة، باب٥٤: تحريم سب الصحابة رضي رقم٢٢١.

إلى ما تمهد لهم من المآثر، وكأن الله سبحانه وتعالى أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة، والله أعلم(١).

عدد الصحابة:

حصر عدد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم علي وجه التحديد أمر ليس بالهين، وذلك لكثرتهم وتفرقهم في البلدان الإسلامية ليعلموا الناس ويفقهوهم في أمور دينهم، وقد ذكر كثير من العلماء أن كل ما ذكر في حدهم وإحصائهم كان من باب التقريب، وليس من باب التحديد وذكر رقم معين، وإليك الأقوال التي وردت في ذلك:

قال ابن الصلاح: (روينا عن أبي زرعة الرازي أنه سئل عن عدة من روي عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ومن يضبط هذا؟ شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع أربعون ألفا. وروينا عن أبي زرعة أيضا: أنه قيل له: أليس يقال: حديث النبي صلى الله عليه وسلم أربعة آلاف حديث؟ قال: ومن قال ذا قلقل الله أنيابه؛ هذا قول الزنادقة، ومن يحصي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مائة ألف وأربعة عشر ألفا من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه، وفي رواية: ممن رآه وسمع منه. فقيل له: يا أبا زرعة هؤلاء أين كانوا وأين سمعوا؟ قال: أهل المدينة، وأهل مكة، ومن بينهما، والأعراب، ومن شهد معه حجة الوداع كل رآه وسمع منه بعرفة)(٢).

(١) مقدمة ابن الصلاح ص١٤٦-١٤٧ بتصرف.

(٢) مقدمة ابن الصلاح ص١٤٨-١٤٩، وراجع تدريب الراوي ٢-٢٢١.

الفصل الثاني
تعريف التابعي

لغة: اسم فاعل من تبعه بمعنى مشي خلفه، يقال: **تَبِعَ الشيءَ تَبَعاً وتِبَاعَاً، وَتَبِعْتُ الشيءَ تُبوعاً: سِرْت في إثْرِهِ**(١).

اصطلاحا: اختلف المحدثون في حد التابعي:

فقال الخطيب: هو من صحب صحابيا. وقال السيوطي: ولا يكتفي فيه بمجرد اللقي، بخلاف الصحابي مع النبي صلى الله عليه وسلم لشرف منزلة النبي صلى الله عليه وسلم، فالاجتماع به يؤثر في النور القلبي أضعاف ما يؤثره الاجتماع الطويل بالصحابي وغيره من الأخيار(٢).

وقيل هو: من لقي الصحابي، وإن لم يصحبه، وعليه الحاكم، وقال ابن الصلاح: وهو أقرب، وقال النووي: وهو الأظهر، وقال العراقي: وعليه عمل الأكثرين من أهل الحديث.

واشرط ابن حبان أن يكون قد رأي الصحابي في سن من يحفظ عنه، أي أن يكون مميزا، فإن كان صغيرا لم يحفظ عنه فلا عبرة بروايته، كخلف بن خليفة، فإنه عده من أتباع التابعين، وإن كان رأي عمرو بن حريث، لكونه كان صغيرا لا يميز.

قال العراقي: وما اختاره ابن حبان له وجه، كما اشترط في الصحابي رؤيته صلى الله عليه وسلم وهو مميز، قال وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصحابة والتابعين بقوله: (طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى لمن رأى من رآني، طوبى لهم وحسن مآب)(٣) فاكتفى فيهما بمجرد الرؤية.

وقال ابن الصلاح: ومطلق التابعي مخصوص بالتابع بإحسان. وقال العراقي: إن أراد بالإحسان الإسلام فواضح، إلا أن الإحسان أمر زائد عليه، فإن أراد به الكمال في الإسلام والعدالة، فلم أر من اشترط ذلك في حد التابعي، بل من صنف في الطبقات أدخل فيهم الثقات وغيرهم(٤).

---

(١) لسان العرب١- ٣٨، مختار الصحاح ١-٣١ بتصرف.
(٢) تدريب الراوي ٢-٢٣٤.
(٣) أورده الهيثمي في المجمع ١٠-٢٠، ٦٧ وقال: رواه الطبراني، وفيه بقية، وقد صرح بالسماع، فزالت الدلسة، وبقية رجاله ثقات.
(٤) تدريب الراوي ٢-٢٣٤، وص١٥١ مقدمة ابن الصلاح.

وقال النووي: ومن التابعين أيضا المخضرمون، واحدهم: مخضرم (بفتح الراء) وهو الذي أدرك الجاهلية وزمن النبي صلى الله عليه وسلم، وأسلم ولم يره.قال السيوطي: هذا مصطلح أهل الحديث فيه، لأنه متردد بين طبقتين لا يدرى من أيهما هو، من قولهم لحم مخضرم: لا يدرى من ذكر هو أم أنثى، كما في المحكم والصحاح، وطعام مخضرم:ليس بحلو ولا بمر، وقيل من الخضرمة بمعنى القطع، من خضرموا آذان الإبل: قطعوها، لأنه انقطع عن الصحابة، وإن عاصر لعدم الرؤية. أو من قولهم: رجل مخضرم: ناقص الحسب، وقيل: ليس بكريم النسب٠٠لكونه ناقص الرتبة عن الصحابة لعدم الرؤية مع إمكانها[١].

عدالة التابعين:

أخرج الشيخان في صحيحيهما عن عبد الله بن مسعود– رضي الله عنه– أن النبي صلى الله عليه مسلم قال: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجئ قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته)[٢].

وقال ابن حجر: واستدل بهذا الحديث على تعديل أهل القرون الثلاثة وإن تفاوتت منازلهم في الفضل، وهذا محمول على الغالب والأكثرية، فقد وجد فيمن بعد الصحابة من القرنين من وجدت فيه الصفات المذكورة المذمومة لكن بقلة، بخلاف من بعد القرون الثلاثة فإن ذلك كثر فيهم واشتهر[٣].

---

(١) تدريب الراوي ٢–٢٣٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: فضائل الصحابة باب ١: فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن صحب النبي صلى الله عليه وسلم أو رآه ح ٣٦٥١، وبلفظ مقارب رقم ٣٦٥٠، وفي كتاب الشهادات باب: لا يشهد على شهادة جور إذا شهد ح ٢٦٥٢، وفي الرقاق، باب: ما يحذر من زهرة الدنيا، والتنافس فيها ح ٦٤٢٩، وفي الأيمان والنذور، باب إذا قال: أشهد بالله، أو شهدت بالله ح ٦٦٥٨، ومسلم في صحيحه في كتاب: فضائل الصحابة باب ٥٢: فضل الصحابة، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ح ٦٤١٦،٦٤١٧و٦٤١٨و٦٤١٩و٦٤٢٠: ٦٤٢٢.

(٣) فتح الباري ٧–٣٥٣–٣٥٤.

وقد تقدم آنفا قول الحافظ العراقي: أن من صنف في الطبقات أدخل فيهم الثقات وغيرهم[1]، ومن يرجع إلي كتب الجرح والتعديل يجد مصداق ذلك.

عدد التابعين:- عدد التابعين يفوق الحصر؛ لأن كل من رأي صحابيا كان من التابعين، وقد توفي الرسول صلى الله عليه وسلم عن نيف ومائة ألف من الصحابة، رحلوا إلى مختلف البلدان، وانتشروا في جميعا الآفاق، ورآهم ألوف الأتباع[2].

ومن أشهر المحدثين من التابعين بالمدينة: سعيد بن المسيب (ت ٩٤هـ)، وعروة بن الزبير (ت ٩٤هـ)، وأبو بكر عبد الرحمن بن الحارث بن هلال (ت٩٤هـ)، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة (ت٩٩هـ)، وسالم بن عبد الله بن عمر (١٠٦هـ)، وسليمان بن يسار (ت٩٣هـ)، والقاسم بن محمد بن أبي بكر (ت١١٢هـ)، ونافع مولى بن عمر (ت١١٧هـ)، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ)، وأبو الزناد (ت١٣٠هـ) وغيرهم.

ومن أشهرهم بمكة: عكرمة مولى بن عباس(ت١٠٥هـ)، وعطاء بن أبي رباح(ت١١٥هـ)، وأبو الزبير محمد بن مسلم(ت ١٢٨هـ) وغيرهم.

ومن أشهرهم بالكوفة: الشعبي عامر بن شرا حيل(ت ١٠٤هـ)، وإبراهيم النخعي(ت٩٦هـ)، وعلقمة بن قيس بن عبد الله النخعي(ت٦٢هـ) وغيرهم.

ومن أشهرهم بالبصرة: الحسن بن أبي الحسن البصري(ت١١٠هـ)، ومحمد بن سيرين(ت١١٠هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسي(ت١١٧هـ) وغيرهم.

ومن أشهرهم بالشام: عمر بن عبد العزيز (ت١٠١هـ)، ومكحول (١١٨هـ)، وقبيضة بن ذؤيب(ت٨٦هـ)، وكعب الأحبار (٣٢هـ) وغيرهم.

ومن أشهرهم بمصر: أبو الخير مرثد بن عبد الله اليزني(ت ٩٠هـ)، ويزيد بن أبي حبيب(ت١٢٨هـ)وغيرهم.

ومن أشهرهم باليمن: طاوس بن كيسان اليماني الحميري (ت١٠٦هـ)، ووهب بن منبه(ت١١٠هـ) وغيرهم كثير[3].

---

(١) تدريب الراوي – ٢-٢٣٤.

(٢) [السنة قبل التدوين ص٣١٢، الحديث والمحدثون ١٧٣.

(٣) الحديث والمحدثون ١٧٣بتصرف

الفصل الثالث
أتبـاع التابعين

هم خلف التابعين الذين أخذوا منهم العلم، وتتلمذوا على أيديهم، فكانوا خير خلف لخير سلف، وهم أهل آخر القرون الفاضلة التي ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه، حين قال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجئ قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته)[1]

وقال الحاكم: (فهذه صفة أتباع التابعين، إذ جعلهم النبي صلى الله عليه وسلم خير الناس بعد الصحابة والتابعين المنتخبين، وهم الطبقة الثالثة بعد النبي صلى الله عليه وسلم،وفيهم جماعة من أئمة المسلمين، مثل: مالك بن أنس الأصبحي، وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، وسفيان بن سعيد الثوري، وشعبة بن الحجاج العتكي، وابن جريج.

ثم يعد أيضا فيهم جماعة من تلامذة هؤلاء الأئمة مثل: يحيى بن سعيد القطان، وقد أدرك أصحاب أنس، وعبد الله بن المبارك، وقد أدرك جماعة من التابعين،ومحمد بن الحسن الشيباني، ممن روى الموطأ عن مالك، وقد أدرك جماعة من التابعين، وإبراهيم بن طهمان الزاهد...وذكر الكثير غير هؤلاء)[2].

عدالة أتباع التابعين:

أذكر في عدالتهم ما ذكرته في عدالة التابعين، فإن فيهم الثقة التقي الورع الحافظ الضابط، وفيهم غيره، ولذلك فقد جعلهم ابن أبي حاتم على مراتب أربع، فقال: منهم الثبت الحافظ الورع المتقن الجهبذ الناقد للحديث، فهذا الذي لا يختلف فيه، ويعتمد على جرحه وتعديله، ويحتج بحديثه، وكلامه في الرجال.

ومنهم العدل في نفسه، الثبت في روايته، الصدوق في نقله، الورع في دينه، الحافظ لحديثه، المتقن فيه، فذلك العدل الذي يحتج بحديثه، ويوثق في نفسه.

---

(١) [تقدم تخريجه]

(٢) [علوم الحديث للحاكم ص ٤٦-٤٧]

ومنهم الصدوق الورع، الثبت الذي يهم أحيانا، وقد قبله الجهابذة النقاد– فهذا يحتج به.

ومنهم الصدوق الورع المغفل الغالب عليه الوهم والخطأ والغلط والسهو – فهذا يكتب من حديثه الترغيب والترهيب والزهد والآداب، ولا يحتج بحديثه في الحلال والحرام.

وخامس قد ألصق نفسه بهم، ودلسها بينهم، ممن ليس من أهل الصدق والأمانة، وقد ظهر للنقاد العلماء بالرجال أولي المعرفة منهم الكذب– فهذا يترك حديثه ويطرح روايته، ومن العلماء الجهابذة بالحجاز: مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وبالعراق: سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج، وحماد بن زيد، وبالشام الأوزاعي،..... ووكيع، وعبد الرحمن بن مهدي..)، واستمر في ذكر أسماء أتباع التابعين والترجمة لكل واحد منهم) [1]

فائدة معرفة الصحابة والتابعين وأتباع التابعين:–

لمعرفة كل واحد من هؤلاء وتمييزه عن غيره فوائد كثيرة لعل من أهمها: معرفة الموصول والمرسل من أحاديثه صلى الله عليه وسلم، ورفع الاشتباه بين رواة الحديث، وإزالة اللبس الذي ينتج عن الجهل بأسمائهم، فيعرف حال كل واحد منهم من حيث الجرح والتعديل، فكل من عدا الصحابة من رواة الأحاديث يسأل عن حاله حتى نتمكن من الحكم على حديثه، وبيان ما يقبل منها وما يرد.

(١) تقدمة الجرح والتعديل ١–..]

الفصل الرابع
موقف الصحابة ومن بعدهم من الاحتجاج بالسنة

لقد أجمع الصحابة رضي الله عنهم على الاحتجاج بكل ما صح عنه صلى الله عليه وسلم، والعمل به، ولو لم يكن له أصل على الخصوص في القرآن، فكان الواحد منهم إذا عرض له أمر طاب حكمه في كتاب الله، فان لم يجده طلبه في السنة، فان لم يجده اجتهد في حدود القران والسنة وأصول الشريعة، فقد وضع لهم النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأساس القويم كما تقدم بإقراره لذلك لمعاذ حين بعثه إلى اليمن(١).

وقد فهم الصحابة رجوع جميع ما جاءت به السنة إلى القرآن من قوله تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا)(٢)، وغيرها من الآيات الكريمة التي تقدم ذكر بعضها، هذا وقد ورد في الكثير من الأحاديث والآثار ما يدل على ذلك أيضا، ومنها:-

ما أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما عن قبيضة بن ذؤيب قال: جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه تسأله ميراثها، فقال لها: مالك في كتاب الله شئ، وما علمت لك في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا، فارجعي حتى أسأل الناس، فسأل الناس، فقال المغيرة بن شعبة: حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاها السدس، فقال أبو بكر: هل معك غيرك؟ فقام محمد بن مسلمة فقال مثل ما قال المغيرة بن شعبة، فأنفذه لها أبو بكر..الحديث(٣).

---

(١) تقدم تخريجه في مبحث: مكانة السنة في الدين، ومدى حجيتها.

(٢) سورة الحشر آية: ٧.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب: الفرائض باب ٥: ما جاء في ميراث الجدة ح٢٨٩١، وقال المنذري: أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجة، وقال الترمذي: حسن صحيح. عون المعبود ٨-٨١،٨٠، والترمذي في سننه، في كتاب: الفرائض،باب ١٠: ما جاء في ميراث الجدة ح ٢١٠١، وابن ماجه في سننه، في كتاب: الفرائض، باب ٤: ميراث الجدة ح ٢٧٢٤.

وما رواه البخاري في صحيحه: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لعن الله الواشمات والمتوشمات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب فجاءت، فقالت: إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت، فقال: ومالي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في كتاب الله. قالت: لقد قرأت ما بين اللوحين، فما وجدت فيه ما تقول. قال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، أما قرأت (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا)؟ (١).

وما رواه الشيخان عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه: أن عمر رضي الله عنه خرج إلى الشام، حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد –أبو عبيدة وأصحابه رضي الله عنهم – فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام، قال ابن عباس: فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين، فدعاهم فاستشارهم، وأخبرهم أن الوباء قد وقع بأرض الشام، فاختلفوا.....فقال: ادعوا لي الأنصار،....فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم، فلم يختلف منهم عليه رجلان، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس، ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر، فأصبحوا عليه، فقال أبو عبيدة: أفرارا من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله..... فجاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه – وكان متغيبا في بعض حاجته، فقال: إن عندي في هذا علما، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه) قال: فحمد الله عمر، ثم انصرف. قال ابن شهاب:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب التفسير،باب ٤: وما آتاكم الرسول فخذوه ح٤٨٨٦، ٤٨٨٧، وفي كتاب اللباس، باب: المتفلجات للحسن ح ٥٩٣١، وفي الكتاب نفسه، باب: والمتنمصات ح ٥٩٣١، وأخرجه فيه أيضا، في باب: الموصولة ح ٥٩٤٣، وفيه أيضا، في باب: الواشمة ح٥٩٤٤' وفي باب: المستوشمة ٥٩٤٨، وأخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: اللباس ب ٣٣: تحريم فعل الواصلة والمستوصلة، والواشمة المستوشمة، والنا مصة والمتنمصة، والمتفلجات، والمغيرات خلق الله، حديث رقم ٥٥٣٨.

وأخبرني سالم بن عبد الله بن عمر أن عمر إنما انصرف بالناس من حديث عبد الرحمن بن عوف(١).

وما أخرجه البخاري في صحيحه: أن عمرا لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر(٢).

وما أخرجه الشيخان عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوفا البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بني إسرائيل، إنما هو موسي أخر،. فقال: كذب عدو الله، حدثنا أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: فذكر حديث في قصة موسى والخضر(٣)، فابن عباس مع فقهه وورعه كذب امرءا من المسلمين، ونسبه إلى عداوة الله؛على وجه الإغلاظ والزجر، ومبالغة في الإنكار لمخالفة الثابت عن سول الله ﷺ .

وأخرج الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تمنعوا النساء من الخروج إلى المساجد بالليل) قال ابن لعبد الله بن عمر: لا ندعهن يخرجن فيتخذنه دغلا، فزجره ابن عمر، وقال: أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقول:لا ندعهن(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الطب، ب ٣٠: ما يذكر في الطاعون ح ٥٧٢٩، وفي كتاب: الحيل باب ١٣: ما يكره من الاحتيال في الفرار من الطاعون ح ٦٩٧٣ ومسلم في صحيحه، في كتاب: السلام ب ٣٢: الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها ح ٥٧٤٥.

(٢) في كتاب: الجزية والموادعة، باب ١: في كتاب الجزية والموادعة،مع أهل الذمة والحرب ح ٣١٥٦و٣١٥٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الأنبياء، ب ٢٧: حديث الخضر مع موسى ح ٣٤٠١، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الفضائل، ب ٤٤: من فضائل الخضر عليه السلام.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: الصلاة، باب ٣٠، خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة ح٩٨٨، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٤، البخاري في صحيحه، في كتاب: الجمعة، باب١٣؛ ح ٨٩٩ باختصار.

وأخرج الشيخان عن عبد الله بن بريدة أن عبد الله بن مغفل رأى رجلا يحذف، فقال له: لا تخذف، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الخذف – أو كان يكره الخذف– وقال: إنه لا يصاد به صيدا، ولا ينكأ به عدو، ولكنها قد تكسر السن وتفقأ العين) ثم رآه بعد ذلك يخذف، فقال له: أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الخذف–أو كره الخذف– وأنت تخذف؟ والله لا أكلمك كذا وكذا، وفي رواية: لا أكلمك أبدا(١).

وأخرج الشيخان عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الحياء لا يأتي إلا خير). فقال بشير بن كعب: مكتوب في الحكمة: إن من الحياء وقارا، ومن من الحياء سكينة (ومنه ضعفا). فقال له عمران بن حصين: أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحدثني عن صحيفتك، وغضب غضبا شديدا(٢).

وروى الحاكم عن الحسن قال: بينما عمران بن حصين رضي الله عنه يحدث عن سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إذ قال له رجل: يا أبا نجيد، حدثنا بالقران. فقال له عمران: أنت وأصحابك تقرؤون القران أكنت محدثي عن الصلاة وما فيها وحدودها ؟ أكنت محدثي عن الزكاة في الذهب والإبل والبقر وأصناف المال؟ ولكن قد شهدت وغبت أنت، ثم قال: فرض علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الزكاة كذا وكذا، فقال الرجل: أحييتني أحياك الله. قال الحسن: فما مات ذلك الرجل حتى صار من فقهاء المسلمين. وقال: إسناده صحيح(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الذبائح والصيد، ب٥: الخذف والبندقة ح ٥٤٧٩، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الصيد، ب١٠ إباحة ما يستعان به على الاصطياد والعدو، وكراهة الخذف ح ٥٠٢٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الأدب، باب ٧٧: الحياء ح ٦١١٧، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الإيمان، باب١٢: بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها ح ١٥٥.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ١-١٠٩.

وروي عن الإمام الشافعي أنه كان جالسا في المسجد يحدث الناس فقال: لا تسألوني عن شئ إلا أجبتكم فيه من كتاب الله. فقال رجل: ما تقول في المحرم إذا قتل الزنبور؟ فقال: لا شئ عليه. فقال الرجل: أين هذا من كتاب الله؟ فقال: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا)[1] ثم ذكر إسنادا إلى سيدنا عمر أنه قال للمحرم قتل الزنبور وذكر ابن عبد البر[2] عن عبد الرحمن بن يزيد أنه رأى محرما عليه ثياب، فنهى المحرم، فقال: ائتني بآية من كتاب الله تنزع ثيابي. قال: فقرأ عليه: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا) [3]

وعلى هذا الدرب والطريق الواضح سار جميع سلفنا الصالح من أئمة العلم والدين، والآثار في ذلك كثيرة جدا يضيق المقام عن ذكرها،وقد ذكرت بعضها على سبيل المثال لا الحصر[4].

(١) سورة الحشر: آية ٧.

(٢) في كتاب جامع بيان العلم ص ٤٨٦.

(٣) سورة الحشر:آية ٧.

(٤) أعلام المحدثين ص١٢-١٣بتصرف، راجع دفاع عن السنة ١٦-١٧ ودراسات في الحديث النبوي ص١٥:٢٠.

البـــاب الثالث

جهـود الصحـابة والتابعين وأتباعهم في المحـافظة على السنة

الباب الثالث
جهود الصحابة والتابعين وأتباعهم في المحافظة على السنة

نظرا لمكانة السنة النبوية في الدين، ومنزلتها من القران الكريم؛ اعتني بها الصحابة رضي الله عنهم عناية فائقة، فكانوا جد حريصين على حفظها، والحفاظ عليها، والذب عنها، وتبليغها لمن لم يسمعها، ولم يدخروا وسعا ولا جهدا في سبيل ذلك، متحملين لكل الصعاب والمشقات، فكانوا نماذج يحتذى بها، ونبراسا يستضاء به، ومنارا يهتدى بضوئه، فاقتدى بهم من جاء بعدهم من التابعين وأتباعهم، وساروا على دربهم، ونهجوا سبيلهم، فعرفوا للسنة مكانتها، ووضعوا الكثير من الضوابط والقواعد التي تحافظ عليها وتحميها، وتميز صحيحها من سقيمها، ومقبولها من مردودها.

وإليك بعضا من هذه الجهود التي بذلها الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين وأتباعهم من سلفنا الصالح للمحافظة على المصدر الثاني من مصادر التشريع، سواء في حياته صلى الله عليه وسلم أم بعد وفاته، فمن هذه الجهود:-

١- الحرص على حضور مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم، وتحمل العلم عنه:

فمنذ أن من الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بالرسالة وأمره بتبليغ ما أنزل إليه من ربه، وهو صلى الله عليه وسلم حريص على أن يجتمع بالمسلمين، ويعقد لهم المجالس العلمية ليبلغهم رسالة ربهم، ويعلمهم أحكام دينهم الجديد، وفي هذه المجالس كان صلى الله عليه وسلم يفيض على أصحابه من الكلم الطيب والعلم النافع والهدي الرشيد من القرآن والسنة ما يشرح صدورهم، و يفعم قلوبهم، ويقوي إيمانهم، وقد كان صلى الله عليه وسلم في هذه المجالس يستفتى فيفتي، أو يسال فيجيب، أو تقع أمامه الحادثة فيكشف عن حكم الله فيها، أو تنزل عليه الآية من القرآن فيفصح عن مراد الله فيها، أو يقع من بعض الصحابة عمل لم يكن يعرف حكمه، فيسكت إيذانا منه بأنه جائز في الدين، فحرص الصحابة رضي الله عنهم علي حضور هذه المجالس حرصا شديدا، وأقبلوا عليها ينهلون منها، ويتزودون من ينابع علمه صلى الله عليه وسلم، وليتمكنوا من الإلمام بكل ما يصدر عنه صلى الله عليه وسلم؛ فكان

منهم من يلازمه ملازمة تامة ولا يتخلف عن مجالسه صلى الله عليه وسلم، كما كان من أبي هريرة رضي الله عنه، ولذلك كان رضي الله عنه من المكثرين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: يقولون إن أبا هريرة يكثر الحديث، والله الوعد، ويقولون: ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثل أحاديثه؟ وإن أخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم، وكنت امرءا مسكينا ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملْ بطني، فأحضر حين يغيبون، وأعي حين ينسون، وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوما: (لن يبسط أحد منكم ثوبه – حتى أقضي مقالتي هذه– ثم يجمعه إلى صدره فينسى من مقالتي شيئا أبدا، فبسطت نمرة ليس علي ثوب غيرها حتى قضى النبي صلى الله عليه وسلم مقالته ثم جمعتها إلى صدري، فو الذي بعثه بالحق ما نسيت من مقالته تلك إلى يومي هذا،ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثتكم شيئا أبدا، [إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى.. الرحيم[1]

ولذلك شهد الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة بالحرص على الحديث، فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال صلى الله عليه وسلم: (لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث،أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه، أو نفسه)[2]

(١) (سورة البقرة، الآية: ١٥٩). والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الحرث والمزارعة، باب ٢١: ما جاء في الحرث ح٢٣٥٠، وفي كتاب العلم، باب٤٢: حفظ العلم ح١١٨، ١١٩، وفي كتاب: الاعتصام بالسنة، باب٢٢: الحجة على من قال إن أحكام النبي ص كانت ظاهرة، وما كان يغيب بعضهم عن مشاهد النبي صلى الله عليه وسلم، وأمور الإسلام ح ٧٣٥٤، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الفضائل، باب٣٥: من فضائل أبي هريرة رضي الله عنه ح٦٣٤٧]

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: العلم، باب٣٣: الحرص على الحديث ح ٩٩.

وكان من لم يقدر منهم رضي الله عنهم- على الملازمة التامة، وشغلته بعض أعماله واحتياجاته وسعيه على معايشه، فانه كان إما أن يتناوب مع غيره النزول على مجالسه صلى الله عليه وسلم، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد روى البخاري عنه أنه قال: كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد، وهي من عوالي المدينة، كنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ينزل يوما وأنزل يوما، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك..الحديث[1].

أو يحرص يوميا على سؤال أقرانه عما استجد من القرآن والحديث، وتحصيل ذلك ممن سمعه أو ممن هو أحفظ، فهذا البراء بن عازب رضي الله عنه قال: ما كل الحديث سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يحدثنا أصحابنا، وكنا مشتغلين في رعاية الإبل، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلبون ما فاتهم سماعه من رسول الله، فيسمعونه من أقرانهم، وممن هو أحفظ منهم، وكانوا يشددون على من يسمعون منه[2].

أما من بعدت بهم الشقة، وكانوا من مناطق نائية عنه صلى الله عليه وسلم، فإنهم كانوا يرسلون وفودهم للقائه صلى الله عليه وسلم، ومجالسته، والسماع منه، وللتعرف على الدين الجديد وتعاليمه وأحكامه، وأخذ ذلك من منبعه الأول، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يستضيفهم، ويرحب بهم، ويكرمهم، ويعلمهم القرآن والسنة وأحكام الدين، ويجيب على أسئلتهم؛ حتى تطمئن قلوبهم، فإذا ما وجد صلى الله عليه وسلم أنهم قد اشتاقوا لأهليهم أذن لهم في العودة، وأمرهم أن يحفظوا ما رأوه، وما سمعوه منه صلى الله عليه وسلم، وأن يبلغوه من وراءهم، وأن يعلموهم ويفقهوهم في الدين، ومن هذا الحديث المتفق عليه عن مالك بن الحويرث قال: أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن شيبة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين يوما و ليلة، وكان رسول الله رحيما رفيقا، فلما ظن أنا قد اشتهينا أهلنا –أو اشتقنا- سألنا عمن تركنا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب:العلم، باب ٢٧ التناوب في العلم ح ٨٩.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، في كتاب العلم ١- ٩٥ وقال: صحيح على شرط الشيخين، وليس له علة، ولم يخرجاه. وأقره الذهبي، وفي معرفة علوم الحديث ص١٤.

بعـدنا، فأخبرنـاه، فقـال: (ارجعـوا إلـى أهلـيكم، فـأقيموا فـيهم وعلمـوهم ومروهم....الحديث) (١).

ومن ذلك أيضا: ما رواه البخاري عن ابن عباس رضى الله عنه أن وفد عبد القيس لما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من القوم؟ أو من الوفد؟) قالوا: ربيعة، قال: (مرحبا بالقوم أو الوفد – غير خزايا ولا ندامى) فقالوا: يا رسول الله، إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام، وبيننا و بينك هذا الحي من كفار مضر، فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا، وندخل به الجنة، وسألوه عن الأشربة، فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع: أمرهم بالإيمان بالله وحده....وقال صلى الله عليه وسلم:(احفظوهن، وأخبروا من وراءكم) (٢).

وإذا رجعنا إلى كتب الحديث الشريف والسيرة النبوية المطهرة نجد أن وفودا كثيرة جدا أقبلت عليه صلى الله عليه وسلم، حتى كأنه لم تبق قبيلة من قبائل العرب إلا قدم منها وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد عرف الصحابة رضي الله عنهم هذه الوفود وفدا وفدا، وحفظوا ما حدثهم به النبي صلى الله عليه وسلم من حديث، وما خطبهم من خطب، وما بثه فيهم من مواعظ ونصائح وأحكام وسنن، حتى أنك لتجد كتب الحديث والسير والمغازي مملوءة بذكر هذه الوفود وما حدث بينها وبينه صلى الله عليه وسلم، وما كان لها من أثر عظيم في حفظ أحكام الدين والمحافظة عليها، ونشرها في ربوع الدولة الإسلامية(٣).

هذا ولم تكن مجالسه صلى الله عليه وسلم قاصرة على الرجال بل كان الكثير من النساء يحرصن على حضورها، فكن يذهبن إلى المسجد للصلاة معه صلى الله عليه وسلم، وسماع حديثه الشريف، وكان صلى الله عليه وسلم يتحدث إليهن ويعلمهن ويوجههن ويرشدهن، إلا أن المجالس النبوية بشكل عام

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأذان، باب ١٨: الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة ح٦٣١، ٦٢٨، ٦٥٨، ٦٨٥، ٨١٩، ٢٨٤٨، ٦٠٠٨، ٧٢٤٦، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد: باب ٥٣: من أحق بالإمامة؟ ح ١٥٣٣.

(٢) أخرجه في كتاب الإيمان باب ٤٠ أداء الخمس من الإيمان ح٥٣.

(٣) فتح الباري ١-١٦٧، الحديث والمحدثون ص٥٠ – ٥١ بتصرف.

كانت الغلبة فيها للرجال، فطلب النساء أن يخصهن بيوم يعلمهن فيه أمور دينهن، فأجابهن صلى الله عليه وسلم، فقد روي البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قالت النساء للنبي صلى الله عليه وسلم: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوما من نفسك، فوعدهن يوما لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن...الحديث[1]. فكن يتعلمن منه صلى الله عليه وسلم، وينقلن هذا العلم إلى غيرهن، فلم يكن مجرد متلقيات فقط، فساهمن مساهمة كبيرة في حفظ السنة، ونشر أحكام الدين.

وإذا تحدثنا عن النساء، وحرصهن على حضور مجالسه صلى الله عليه وسلم، وسماع الحديث، فإننا لا يمكن أن ننسى ما لأمهات المؤمنين رضي الله عنهن من مجهودات كبيرة في حفظ الكثير من سننه صلى الله عليه وسلم، وتبليغها للمسلمين،وخصوصا تلك التي لم يكن يتح لأحد غيرهن رؤيتها، فكان لهن فضل كبير في تبليغ الدين، ونشر السنن بين المسلمين، لاسيما ما كان من السيدة عائشة رضي الله عنها التي كانت على قدر عظيم من الذكاء والفهم، والقدرة على الحفظ، فقد حفظت عنه صلى الله عليه وسلم الكثير من العلم الطيب النافع، ثم قامت بنقل ذلك وتبليغه للمسلمين، و بعد وفاته صلى الله عليه وسلم أصبحت مرجعا لكبار الصحابة وصغارهم في التفسير والحديث والفقه، ببركة ما حملته عنه صلى الله عليه وسلم من العلم.

٢- الاقتداء به صلى الله عليه وسلم، **والتمسك بسنته، والالتزام بما أمر به أو نهى عنه** صلى الله عليه وسلم: -

لقد استجاب المسلمون الأوائل لقوله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)[2] فتفانوا في سبيل إتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان صلى الله عليه وسلم أسوتهم وقدوتهم، وساروا على هديه في جميع جوانب حياتهم، وقد ذكرت بعضا من الآثار التي تدل على ذلك في الفصل الرابع من الباب الثاني، وإليك المزيد مما يدل على ذلك:-

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: العلم باب ٣٥: هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم؟.

(٢) سورة الأحزاب: آية ٢١.

فهذا أبو بكر رضي الله عنه ينفذ بعث أسامة بن زيد، الذي كان قد جهزه الرسول صلى الله عليه وسلم قبل وفاته لقتال الروم، ويأبى أن يحتفظ بالجيش، وهو في أشد الحاجة إليه؛ لقتال المرتدين وغير هم ممن تربص بالمسلمين في هذه الظروف الصعبة، ويقول رضي الله عنه: (والله لأن تخطفني الطير أحب إلي من أن أبدأ بشئ قبل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم....) [١].

ويعقد اللواء لخالد بن الوليد لقتال المرتدين، ويقول إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد، وسيف من سيوف الله سله الله عز وجل على الكفار والمنافقين)[٢].

وتأتيه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تطلب سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. فيقول: لها إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله عز وجل إذا أطعم نبي طعمه ثم قبضه جعله للذي يقوم من بعده)، فرأيت أن أرده على المسلمين، فقالت: فأنت وما سمعت من رسول الله) [٣]، وفي رواية: (لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به، وإني أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ)[٤]

ولما ارتد مسيلمة الكذاب وقومه، قال عمر لأبي بكر رضي الله عنه: تقاتلهم وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله إلا الله، فإذا قالوها عصموا منها دمائهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله تعالى، فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله لا أفرق بين الصلاة والزكاة، ولأقاتلن من فرق بينهما قال أبو هريرة: فقاتلنا معه فرأينا ذلك رشدا) [٥].

---

(١) سنن النبي صلى الله عليه وسلم وأيامه ٢-٤٢٤.

(٢) أحمد في مسنده ١-١٦ح٤٤.

(٣) أحمد في مسنده ١-٨، ٩ ح ١٠، ١٥.

(٤) أحمد في مسنده ١ – ١٣ح ٢٦، ١- ١٨، ١٩ في قصة ح ٥٦، ٥٩.

(٥) أحمد في مسنده ١-٣٣ح١١٨.

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يمنع امرأته من الذهاب إلى المسجد مع كراهيته لذلك، امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم، أخرج البخاري[١] عن ابن عمر قال: كانت امرأة لعمر تشهد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد، فقيل لها: لم تخرجين وقد علمت أن عمر يكره ذلك، ويغار، قال: وما يمنعه أن ينهاني؟ قال: يمنعه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله).

وعن السائب بن يزيد أن حويطب بن عبد العزى أخبره أن عبد الله بن السعدي أخبره أنه قدم على عمر بن الخطاب في خلافته، فقال له عمر: ألم أحدث أنك تلي من أعمال الناس أعمالا، فإذا أعطيت العمالة كرهتها؟ فقلت: بلى، فقال عمر: فما تريد إلى ذلك ؟ فقلت: إن لي أفراسا و أعبدا وأنا بخير، وأريد أن تكون عمالتي صدقة على المسلمين. فقال عمر: فلا تفعل، فاني قد كنت أردت الذي أردت، فقال صلى عليه وسلم خذه فتموله وتصدق به، فما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه، ومالا، فلا تتبعه نفسك)[٢]

وعن الزهري قال: حدثني ربيعة بن دارج: أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سبح بعد العصر ركعتين في طريق مكة، فرآه عمر رضي الله عنه، فتغيظ عليه، ثم قال: أما والله لقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها[٣].

وعن عبدالله بن عمر عن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن الله عز وجل ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم) قال عمر: فو الله ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله ص نهى عنها، ولا تكلمت بها ذاكرا ولا آثرا[٤].

---

(١) في صحيحه، في كتاب: الجمعة، باب: ١٣،ح ٩٠٠.
(٢) أحمد في مسنده ١ –٣٠ ح١٠١.
(٣) أحمد في مسنده ١–٣٠، ٣١ح١٠٢، ١٠٧.
(٤) أحمد في مسنده ١– ٣٣ح١١٣، ٦٠ح٢٤٣.

وعن شعبة عن سماك قال: سمعت عياضا الأشعري قال: شهدت اليرموك، وعلينا خمسة أمراء...فكتبنا إلى عمر بن الخطاب: (انه قد جاش إلينا الموت، واستمددناه، فكتب إلينا: أنه قد جاءني كتابكم تستمدوني، وإني أدلكم على من هو أعز نصرا وأحضر جندا، الله عز وجل، فاستنصروه، فان محمدا صلى الله عليه وسلم، قد نصر يوم بدر في أقل من عدتكم، فإذا أتاكم كتابي هذا فقاتلوهم، ولا تراجعوني. قال: فقاتلناهم فهزمناهم...)[1]

وهكذا كانوا يتمسكون بهديه وسنته صلى الله عليه وسلم حتى ولو كانوا يشرفون على الموت والهلاك، بل لقد كانوا يتأسون بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ويقتدون به، ويسيرون على دربه، ويحافظون على سنته، سواء أعرفوا علة لذلك أم لم يعرفوا، وسواء أتوقعوا حكمة لما يفعلون أم لم يتوقعوا،فهذا عمر بن الخطاب يقبل الحجر الأسود ويقول: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك.متفق عليه[2]

وهذا علي رضي الله عنه يقول في القيام للجنازة: قد رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فقمنا، وقعد فقعدنا[3].

وقد اشتهر عبد الله بن عمر رضي الله عنه أيضا بمحافظته الشديدة على سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان صلى الله عليه وسلم أسوته وقدوته في كل شئ، في صلاته وحجه وصيامه، وكل شؤونه، وكان إذا سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لم يعده، ولم يقصر دونه[4].

وهذا عبادة بن الصامت الأنصاري رضي الله عنه، النقيب، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، غزا مع معاوية أرض الروم، فنظر إلى الناس

---

(١) أحمد في مسنده ١ –٨٠ح ٣٤٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الحج، باب٥٠: ما ذكر في الحجر الأسود، ح١٥٩٧، حج والعمرة وباب ٥٧: الرمل في الحج والعمرة ١٦٠٥، وفي باب٦٠: تقبيل الحجر، ح١٦١٠، وأخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: الحج، باب٤١: استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف، ح ٣٠٥٦: ٣٠٥٩.

(٣) أحمد في مسنده ١-١٣٤ح٦٣٢.

(٤) سنن ابن ماجة، في المقدمة باب١ إتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ح٤.

وهم يتبايعون كسر الذهب بالدنانير، وكسر الفضة بالدراهم، فقال: يا أيها الناس، إنكم تأكلون الربا، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تبتاعوا الذهب بالذهب إلا مثلا بمثل، ولا زيادة بينهما، ولا نظرة) فقال له معاوية: يا أبا الوليد لا أرى الربا في هذا إلا ما كان من نظرة، فقال عبادة: أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحدثني عن رأيك، لئن أخرجني الله لا أساكنك بأرض لك علي فيها إمرة، فلما قفل لحق بالمدينة، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما أقدمك يا أبا الوليد؟ فقص عليه القصة، فقال: ارجع يا أبا الوليد إلى أرضك، قبح الله أرضا لست فيها وأمثالك، وكتب إلى معاوية: لا إمرة لك عليه، واحمل الناس على ما قال، فإنه هو الأمر(١).

أولئك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين حفظوا سنته، ووجهوا الأمة إلى الطريق القويم، وحملوا الأمراء على تطبيق أحكام الشريعة، وأبو أن يماروا في دين الله صادعين بالحق،لا يخافون فيه لومة لائم، والآثار في ذلك أكثر من أن تحصى في هذا المختصر.

٣- التأني والتريث في تحمل وأداء العلم:

لقد ثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كان يتخول أصحابه بالنصح والإرشاد والتوجيه، وتعلم أحكام الدين، حينا بعد حين، ويراعي الأوقات المناسبة لذلك، ولا يفعله كل يوم؛ لئلا يملوا ويؤدي ذلك بهم إلى الترك، روى البخاري(٢) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا. وقد اتبع أصحابه صلى الله عليه وسلم النهج نفسه، فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي وائل قال: كان عبد الله يذكر الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكرتنا كل يوم. قال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم، وإني

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه، باب٢ تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتغليظ على من عارضه ح١٨.

(٢) في صحيحه، باب١١: ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ح٦٨.

أتخولكم بالموعظة كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بها مخافة السآمة علينا(١).

٤- الحث على الاعتدال في رواية الحديث، وعدم الإكثار منها:-

لقد علم الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم أن السنة هي المصدر الثاني من مصادر الدين؛ فعرفوا قيمتها ومكانتها، وخافوا من وقوع الخطأ أو الدس أو التحريف فيها، وخصوصا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لو أنهم تساهلوا في أمر الرواية عنه صلى الله عليه وسلم، وتركوا الباب مفتوحا أمام الجميع يروي من شاء عن رسول الله ما شاء، وينسبه إليه صلى الله عليه وسلم، فيجد المنافقون وأصحاب الأهواء من شيوع الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منفذا للكذب عليه صلى الله عليه وسلم، وسلما للتزيد في حديثه، والدس فيه، وتزييفه وتحريفه، ليشككوا الناس ويلبسوا عليهم دينهم، كما أن المكثر لا يأمن من مواقعة الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عن غير عمد، لروايته عمن يؤمن، وعمن لايؤمن؛ ولذلك آثر كثير من السلف الاعتدال في الرواية عنه صلى الله عليه وسلم، بل إن بعضهم فضل الإقلال منها؛ وقد حث صلى الله عليه وسلم على ذلك، وحذر من كثرة الحديث عنه، فعن كعب بن مالك قال: سمعت أبا قتادة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إياكم وكثرة الحديث، فمن قال علي، فليقل حقا أو صدقا، ومن تقول علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار)(٢).

وهذا أبو بكر رضي الله عنه مع كثرة سماعه من رسول الله، صلى الله عليه وسلم يقل من رواية الحديث، فالأحاديث التي رواها عنه صلى الله عليه وسلم قليلة جدا مع طول ملازمته له صلى الله عليه وسلم.

وعلى هذا الدرب سار عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأقل من الرواية، وأمر الناس بذلك، بل وتشدد في تطبيق هذا المنهاج، فكان له الفضل الكبير في صيانة الحديث من الشوائب والدخل، روي عن قرظة بن كعب أنه

---

(١) في كتاب العلم، باب١٢: من جعل لأهل العلم أياما معلومة ح٧٠.

(٢) أخرجه ابن ماجه، في سننه، في: المقدمة، باب٤: التغليظ في تعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ح٣٥.

قال: بعثنا عمر بن الخطاب إلى الكوفة، وشيعنا إلى موضع قرب المدينة، فقال: أتدرون لم مشيت معكم؟ قال: قلنا لحق صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحق الأنصار..قال: لكني مشيت معكم لحديث أردت أن أحدثكم به، فأردت أن تحفظوه لممشاي، إنكم تقدمون على قوم للقرآن في صدورهم هزيز كهزيز المرجل، فإذا رأوكم مدوا إليكم أعناقهم، وقالوا أصحاب محمد، فأقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا شريككم. قال قرظة: فما حدثت بعده حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم(١).

قال ابن قتيبة: كان عمر رضي الله عنه شديد الإنكار على من أكثر الرواية، أو أتى بخبر لا شاهد له عليه، وكان يأمرهم بأن يقلوا الرواية، يريد بذلك ألا يتسع الناس فيها، ويدخلها الشوب ويقع التدليس والكذب من المنافق والفاجر، وكان كثير من جُلة الصحابة، وأهل الخاصة من رسول الله، كأبي بكر والزبير وأبي عبيدة والعباس بن عبد المطلب، يقلون الرواية عنه صلى الله عليه وسلم، بل كان بعضهم لا يكاد يروي شيئا، كسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وهو من العشرة المشهود لهم بالجنة(٢).

وقد اتبع أمير المؤمنين عثمان بن عفان منهج الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فأقل الرواية، وقال: ما يمنعني أن أحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أ ن لا أكون أوعى أصحابه عنه، ولكني أشهد لسمعته يقول: (من قال علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار)(٣)

والتزم الصحابة بعد الخلافة الراشدة منهج الخلفاء الراشدين، فأقلوا الرواية، وإذا رووا أتقنوا أداء الحديث، وضبطوا حروفه ومعناه، وخافوا كثيرا من الوقوع في الخطأ، ولذلك نرى بعضهم مع كثرة تحملهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكثر من الرواية، حتى أن منهم من كان لا يحدث حديثا في السنة،

---

(١) جامع بيان العلم ص ٤٠٠، وأخرجه الحاكم، في المستدرك، في كتاب: العلم١-١٠٢ وصححه ووافقه الذهبي، وابن ماجة في سننه، في المقدمة، باب٣: التوقي في الحديث عن رسول الله ص، ح٢٨.

(٢) تأويل مختلف الحديث ص ٤٨، ٤٩.

(٣) أحمد في مسنده ١- ١٠٥ح٤٧١.

روي عن الشعبي أنه قال: جالست ابن عمر سنة، فما سمعته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا(١).

ونرى من تأخذه الرعدة ويقشعر جلده، ويتغير لونه ورعا واحتراما لحديث رسول لله صلى الله عليه وسلم، ومن هذا ما رواه عمرو بن ميمون قال: ما أخطأني ابن مسعود عشية خميس إلا أتيته فيه، قال: فما سمعته يقول بشئ قط: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما كان ذات عشية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فنكس، فنظرت إليه، فإذا هو قائم محلله أزرار قميصه، قد اغرورقت عيناه، وانتفخت أوداجه، وقال(ابن مسعود): أو دون ذلك أو فوق ذلك، أو قريب من ذلك، أو شبيها بذلك(٢).

وكان أنس بن مالك رضي الله عنه إذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا ففرغ منه قال: أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(٣).

وعن السائب بن يزيد قال: صحبت سعد بن مالك من مكة إلى المدينة، فما سمعته يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم بحديث واحد(٤).

وعن عبد الله بن الزبير قال: قلت للزبير بن العوام: مالي لا أسمعك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما اسمع ابن مسعود وفلانا وفلانا؟ قال: أما إني لم أفارقه منذ أسلمت، ولكني سمعت منه كلمه يقول: (من كذب عليا متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)(٥).

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه، في المقدمة، باب٣: التوقي في التحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ١-١١ ح٣٦.

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه، في المقدمة، باب٣: التوقي في التحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ١-١١ ح٢٣.

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه، في المقدمة، باب٣: التوقي في التحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ١-١١ ح ٢٤.

(٤) أخرجه ابن ماجة في سننه، في المقدمة، باب٣: التوقي في التحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ١-١١ ح ٢٩.

(٥) أخرجه ابن ماجة في سننه، في المقدمة، باب٤: التغليظ في تعمد الكذب على رسول الله ص١-١٤ ح ٣٦.

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: قلنا لزيد بن أرقم حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: كبرنا ونسينا، والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد(١).

ثم ما لبث التابعون أن تصدوا للرواية، فسلكوا سبيل الصحابة، وساروا على دربهم، فكانوا على جانب كبير من الورع والتقوى، فقد تخرجوا في مدارس أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، فهذا الشعبي، وهو أحد كبار التابعين الحفاظ الثقات، رويت عنه الكثير من الآثار التي تدل على حرصه على الإقلال من الرواية، وكراهته للإكثار، فيقول: (ليتني أنفلت من عملي(بالحديث) كفافا، لا لي ولا علي) (٢) وروي نحو ذلك عن سفيان الثوري وغيرهما من كبار التابعين(٣).

وقال شعبة: كنت آتي قتادة فأسأله عن حديثين، فيحدثني، ثم يقول أزيدك؟ فأقول: لا، حتى أحفظهما وأتقنهما(٤).

وعن ابن أبي ليلى قال: لا يفقه الرجل في الحديث حتى يأخذ منه ويدع(٥)، وقال عمار بن زريق لابنه: يا بني اعمل بقليله تزهد في كثيره(٦)، وآثارهم في الحث على الإقلال أكثر من أن تحصى.

وقال ابن عبد البر: إنما عابوا الإكثار خوفا من أن يرتفع التدبر والتفهم، ألا ترى إلى ما حكاه بشر بن الوليد عن أبي يوسف قال: سألني الأعمش عن مسألة وأنا وهو لا غير، فأجبته، فقال لي: من أين قلت هذا يا أبا يعقوب؟ فقلت بالحديث الذي حدثتني أنت ثم حدثته، فقال لي: يا أبا يعقوب إني لأحفظ هذا الحديث من قبل أن يجتمع أبواك، ما عرفت تأويله إلى الآن) وروي نحو

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه، في المقدمة، باب٣: التوقي في التحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ١-١١ ح ٢٥.

(٢) جامع بيان العلم ص٤١١.

(٣) جامع بيان العلم ص٤١١.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١-٢٣٢.

(٥) من جامع بيان العلم ص٤١٥.

(٦) من جامع بيان العلم ص٤١٥.

هذا أنه جرى بين الأعمش وأبي يوسف وأبي حنيفة، فكان من قول الأعمش: أنتم الأطباء ونحن الصيادلة[1].

٥- التثبت قبل قبول الحديث:-

وكما احتاط الصحابة ومن تبعهم في التحديث، فأقلوا من الرواية، احتاطوا بعد الرواية، فتثبتوا من مدى صحة الخبر المروي قبل قبوله ونسبته إليه صلى الله عليه وسلم، والعمل بمقتضاه؛ فأخذوا الحديث من حملته بحيطة وحذر؛ خشية وقوع الخطأ في النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإليك بعضا من الأخبار التي تدل على ذلك:

١- عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: ما كل الحديث سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يحدثنا أصحابنا، وكنا مشتغلين في رعاية الإبل، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلبون ما فاتهم سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيسمعونه من أقرانهم، وممن هو أحفظ منهم، وكانوا يشددون على من يسمعون منه[2].

روى مالك بسنده عن قبيصة بن ذؤيب أنه قال: جاءت الجدة إلى أبي بكر تلتمس ميراثها، فقال لها أبو بكر: مالك في كتاب الله شئ، وما علمت لك في سنة رسول الله شيئا، فارجعي حتى أسأل الناس، فسأل الناس، فقال المغيرة بن شعبة: حضرت رسول الله أعطاها السدس. فقال له: هل معك غيرك؟ فقام محمد بن مسلمة الأنصاري، فقال مثل ما قال المغيرة، فأنفذه لها أبو بكر[3].

وروى الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: كنت في مجلس من مجالس الأنصار،إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور، فقال: استأذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لي، فرجعت، فقال: ما منعك؟ قلت: استأذنت ثلاثا

---

(١) جامع بيان العلم ص٤١٣.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، في كتاب العلم ١-٩٥ وقال: صحيح على شرط الشيخين، وليس له علة، ولم يخرجاه. وأقره الذهبي، وفي معرفة علوم الحديث ص١٤.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب: الفرائض، باب ميراث الجدة ح١٠٨٧، وانظر باقي تخريجه في الفصل الثالث من الباب الأول.

فلم يؤذن لي فرجعت، وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا ستأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع) فقال: والله لتقيمن عليه ببينة، أمنكم أحد سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال أبي بن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم، فقمت معه فأخبرت عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك. وفي رواية لمسلم: فقال عمر: إنما سمعت شيئا، فأحببت أن أتثبت، وفي رواية لمالك: فقال عمر: أما إني لم أتهمك، ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم(١).

وروى مسلم عن المسور بن مخرمة قال: استشار عمر بن الخطاب الناس في ملاص المرأة، فقال المغيرة بن شعبة: شهدت النبي صلى الله عليه وسلم قضى فيه بغرة: عبد أو أمة. فقال عمر: ائتني بمن يشهد معك. قال: فشهد له محمد بن مسلمة(٢).

عن مالك بن أوس قال: سمعت عمر يقول لعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد: نشدتكم بالله الذي تقوم السماء والأرض به، أعلمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إنا لا نورث ما تركنا صدقة) قالوا: اللهم نعم(٣).

عن أنس رضي الله عنه: أن عثمان رضي الله عنه توضأ بالمقاعد ثلاثا ثلاثا، ويديه ثلاثا ثلاثا، وعنده رجال من رسول الله صلى الله عيه وسلم، قال: أليس هكذا رأيتم رسول الله يتوضأ؟ قالوا: نعم(٤).

وعن علي رضي الله عنه قال: كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعني الله بما شاء أن ينفعني به، وإذا حدثني رجل من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لي صدقته، وإنه..الحديث(١).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب ١٣: التسليم والاستئذان ثلاثا، ح٦٢٤٥، ومسلم في صحيحه، كتاب: الآداب، باب٧: الاستئذان، ح ٥٥٩١- ٥٥٩٩ بألفاظ متقاربة، ومالك في الموطأ، كتاب الجامع، باب الاستئذان ح ١٧٥٥.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: الحدود، باب دية الجنين، ووجوب الدية في قتل الخطأ وشبه العمد على عاقلة الجاني ح ٤٣٧٣.

(٣) أحمد في مسنده ١- ٤٤ح١٧٣.

(٤) أحمد في مسنده ١-٩٣ح ٤٠٦.

وهذا أبو هريرة رضي الله عنه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بجوار حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها، ويقول: اسمعي يا ربة الحجرة، اسمعي يا ربة الحجرة..الحديث.ويريد بذلك تقوية الحديث بإقرارها له، وسكوتها عليه، وعدم إنكارها له(٢).

تلك الآثار بينت منهج الصحابة المتشدد في التثبت والتأكد من الأخبار قبل قبولها، ولكن هذا لا يعني أبدا أن الصحابة اشترطوا دائما لقبول الخبر أن يرويه راويان فأكثر، أو أن يشهد الناس على الراوي، أو أن يستحلف، فإذا لم يحصل شئ من هذا رد خبره، فقد قبلوا الكثير والكثير من الأخبار التي لم تتوفر فيها الشروط السالف ذكرها، وإنما فعلوا ذلك ليسنوا للمسلمين سنة الثبت والتحري عن مدى صحة ما ينسب إليه صلى الله عليه وسلم، وحتى لا يتقول أحد على الرسول صلى الله عليه وسلم ما لم يقل، ويتضح هذا في قول عمر رضي الله عنه عندما رجع أبو موسى الأشعري مع أبي سعيد الخدري، وشهد له، فقال عمر: أما إني لم أتهمك، ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم(٣).

ولم يكن التابعون وأتباعهم أقل اهتماما من الصحابة بالاحتياط لقبول الحديث، فقد كانوا يثبتون من الراوي من الراوي بكل وسيلة تطمئن إليها قلوبهم، فهذا شعبة بن الحجاج يسمع عبد الله بن دينار يحدث عن ابن عمر: نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع الولاء، وعن هبته.فيستحلفه أنه سمعه من ابن عمر، فيحلف له،وكثيرا ما كان يراجع نقلة الأحاديث، ويسألهم عمن سمعوا منهم، ويستوثق من ذلك، ويستفسر عنه، وقد ذكر ابن أبي حاتم في تقدمة الجرح والتعديل(٤) الكثير من الآثار التي رويت عن شعبة في هذا، وتدل على

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الصلاة باب ٢٩٨: ما جاء في الصلاة عند التوبة ح ٤٠٦، وقال: حديث حسن، وأحمد في مسنده ١– ٥ح٢.

(٢) أخرجه في صحيحه، في كتاب: الزهد، باب١٦: التثبت في الحديث، وحكم كتابة العلم،ح٧٤٣٤.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) ص١٦٣–١٧٠

مبالغته في التثبت والتحري والتأكد من صحة ما يسمعه قبل قبوله، ونسبته إليه صلى الله عليه وسلم.

٦- **نقد المروي عنه** صلى الله عليه وسلم **وعرضه على النصوص والقواعد الشرعية قبل قبوله،** فهذه السيدة عائشة رضي الله عنها ترد حديث رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه ليلة المعراج بظاهر قوله تعالى: (لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ) [(١)]، وتقول: من زعم أن محمدا رأى ربه ليلة الإسراء فقد أعظم على الله الفرية. وهذا اجتهاد منها رضي الله عنها، والمسألة فيها خلاف بين العلماء[(٢)].

ومن ذلك أيضا اعتراضها رضي الله عنها على الحديث الذي رواه عمر وابنه عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه) فقالت رحم الله عمر، والله ما حدث رسول الله أن الله يعذب المؤمنين ببكاء أحد، ولكن قال إن الله يزيد الكافر عذابا ببكاء أهله عليه، وقالت حسبكم القرآن (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)[(٣)]، وفي رواية: إنكم لتحدثوني غير كاذبين ولا مكذبين، ولكن السمع يخطئ[(٤)]. وهذا يدل على شدة المحافظة على سنته صلى الله عليه وسلم، وعدم قبول أي حديث بمجرد نسبته إليه صلى الله عليه وسلم.]

٧- **الحرص على رواية الحديث بلفظه:-**

وكما حرصوا على التثبت من الحديث قبل قبوله ونسبته إليه صلى الله عليه وسلم، فقد حرصوا كذلك على تأدية الحديث بلفظه كما سمعوه منه صلى الله عليه وسلم دون أي تغيير، وكذلك كانوا لا يقبلون الحديث إلا بعد التأكد من حفظ الراوي له، وضبطه لحروفه وتمكنه من ذلك، لما في ذلك من صيانة

---

(١) سورة الأنعام: آية ١٠٣.

(٢) الحديث والمحدثون ص٧١ بتصرف.

(٣) سورة الزمر: آية ٧.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز، باب: ٣٢: قول النبي صلى الله عليه وسلم (يعذب الميت ببكاء أهله عليه إذا كان النوح من سنته ح١٢٨٨، ومسلم في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب٩: الميت يعذب ببكاء أهله عليه،ح ٢١٤٦.

للسنة من التصحيف والتحريف، فالسيدة عائشة رضي الله عنها كما كان لها نظرة في متن الحديث حيث تنقده بعرضه على النصوص والقواعد الشرعية، كذلك كان لها نظرة في الراوي، فكانت تختبر حفظه لتقف على مبلغ ضبطه للحديث، فقد ورد في الصحيحين أنها قالت لعروة بن الزبير: يا ابن أختي بلغني أن عبدالله بن عمر مار بنا إلى الحج، فألقه فاسأله، فإنه حمل عن النبي صلى الله عليه وسلم علما كثيرا. قال: فلقيته فسألته عن أشياء يذكرها عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال عروة فكان فيما ذكر: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله لا ينزع العلم من الناس انتزاعا، ولكن يقبض العلماء فيرفع العلم معهم، ويبقى في الناس رؤوس جهال يفتونهم بغير علم، فيضلون ويضلون) قال عروة: فما حدثت عائشة بذلك أعظمت ذلك وأنكرته، وقالت: أحدثك أنه سمع رسول الله يقول ذلك؟ قال عروة: نعم. حتى إذا كان عام قابل قالت لي: أن ابن عمر قد قدم فألقه ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذي ذكره لك في العلم. قال: فلقيته فسألته، فذكر لي نحو ما حدثني به في المرة الأولى. قال عروة: فلما أخبرتها بذلك قالت: ما أحسبه إلا قد صدق، أراه لم يزد فيه شيئا، ولم ينقص[1]، فالسيدة عائشة لم تقبل الحديث حتى تأكدت من حفظ ابن عمر له، وعلمت أنه ضابط لما يرويه، ولقد كان ابن عمر نفسه ممن يتشددون في الحرص على لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم دون أدنى تغيير، فقد روى أحمد في مسنده[2] بسنده عن محمد بن سوقة قال: سمعت أبا جعفر يقول: كان عبد الله بن عمر إذا سمع من نبي الله صلى الله عليه وسلم أو شهد معه مشهدا لم يقصر دونه، أو يعدوه، قال: فبينما هو جالس وعبيد بن عمير يقص على أهل مكة، إذ قال عبيد بن عمير: مثل المنافق كمثل الشاة بين الغنمين، إن أقبلت إلى هذه الغنم نطحتها، وإن أقبلت إلى هذه الغنم نطحتها، فقال ابن عمر: ليس هكذا، فغضب عبيد بن عمير، وفي المجلس عبد الله بن صفوان، فقال: يا أبا عبد الرحمن، كيف قال رحمك الله؟ فقال: قال: (مثل المنافق مثل

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: العلم، باب٥: رفع العلم وقبضه، وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان ح٦٧٢٦.
(٢) (٢-٢٠٤ ح٥٥٢١)

الشاة بين الربيضين، إن أقبلت إلى ذي الربيضين نطحتها، فقال: رحمك الله هما واحد.قال: كذا سمعت[1].

ولهذا نرى في بعض الأحاديث قول الراوي: كذا و كذا، ولا أدري بأيهما بدأ، وقول: أو كما قال، وقد سبق وأن ذكرت جانبا من مدى ورعهم وخوفهم عند الرواية عنه صلى الله عليه وسلم خشية الخطأ؛ ولذلك أقلوا من الرواية، وحثوا غيرهم على ذلك، ولن أطيل بإعادة ذلك فليراجع.

٨- الحرص على طلب الأحاديث من بعضهم البعض بعد وفاته صلى الله عليه وسلم:-

سبق وان تحدثت عن مدي حرص الصحابة رضي الله عنهم علي ملازمة الرسول صلى الله عليه وسلم، وحفظ كل ما يصدر عنه، وأنهم كانوا يحرصون على السؤال عما فاتهم سماعه من أقواله صلى الله عليه وسلم، وعندما توفي صلى الله عليه وسلم لم يقل هذا الحرص بل ازداد، فقد أحسوا بعظم المسؤولية الملقاة على عواتقهم لحفظ كتاب الله وسنة رسوله، وتبليغ ذلك لمن بعدهم، فجمعوا القرآن الكريم في مصحف على عهد الصديق، ثم أكبوا على جمع سنته، والبحث عنها عند حفاظها، وتحملوا في سبيل ذلك المشاق الكبيرة، ويكفينا مثالا على ذلك ما كان من ابن عباس رضي الله عنه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، فقد روي عنه أنه قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم اليوم كثير. فقال: وعجبا لك يا بن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك، وفي الناس من أصحاب رسول الله من فيهم؟ قال: فتركت ذاك، وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحديث، وإن كان يبلغني الحديث عن الرجل، فاتي بابه وهو قائل، فأتوسد ردائي على بابه، تسفي الريح علي من التراب، فيخرج، فيراني، فيقول: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟ هلا أرسلت إلي فآتيتك؟ فأقول: لا أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحديث، فعاش

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢-٢٠٤ح ٥٥٢١، ٢-١٧٩ح٢،٥٣٣٥-١١٤ح٤٨٥٧.

هذا الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألوني، فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني[١].

وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقف عند عازب والد البراء، فيشتري منه رحلا (وهو للناقة كالسرج للفرس) ثم يقول له: مر البراء فليحمله إلى منزلي، فيقول: لا، حتى تحدثنا كيف صنعت حين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنت معه، فقص عليه خبر الهجرة[٢].

ومن يراجع كتب تراجم الرجال، والكتب الأصلية للحديث، يكتشف أن معظم الصحابة قد رووا عن بعضهم البعض كثيرا، سواء في حياته صلى الله عليه وسلم أو بعد وفاته صلى الله عليه وسلم.

٩- طلب إسناد الحديث:-

لم يكن المسلمون في صدر الإسلام منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى فتنة عثمان رضي الله عنه يكذب بعضهم بعضا، بل كانوا يرجحون توثيق كل من حدثهم، حتى إذا ما وقعت الفتنة وتكونت الفرق والطوائف، وبدأ الكذب والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوقف الصحابة ومن والتابعين من هذه الظاهرة وقفة قوية لحماية الحديث والحفاظ عليه، فتشددوا في نقل الأحاديث، وأصبحوا لا يقبلون منها إلا ما يعرفون من رواها، واطمأنوا إلى أن هؤلاء الرواة هم من أهل العدالة والضبط والإتقان، ويخبرنا الإمام محمد بن سيرين عن ذلك فيقول: لم يكن يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظروا إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم[٣].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، في كتاب العلم ١-١٠٦-١٠٧ وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري، وهو أصل في طلب الحديث، وتوقير المحدث. وأقره الذهبي.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ١-٦ ح٣.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، في المقدمة، باب٥: بيان أن الإسناد من الدين، وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات، وأن جرح الرواة بما هو فيهم جائز، بل واجب وأنه ليس من الغيبة المحرمة، بل من الذب عن الشريعة المكرمة ح٢٦.

وفي هذا يروي أيضا الإمام مسلم بسنده عن مجاهد قال: جاء بشير العدوي إلى ابن عباس، فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل ابن عباس لا يأذن له ولا ينظر إليه، فقال: يا ابن عباس، مالي لا أراك تسمع لحديثي؟ أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسمع؟ فقال ابن عباس: إنا كنا إذا سمعنا رجلا يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف) [1]

وكذلك فعل التابعون ومن بعدهم، بل كانوا أشد من الصحابة في ذلك، وذلك لاحتمال وجود ضعف في الرواة في عهدهم، ومن الآثار الدالة على ذلك:-

ما يرويه ابن عبد البر عن الشعبي عن الربيع بن خيثم قال: من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير عشر مرات كن له كعتق رقاب أو رقبة، قال الشعبي: فقلت للربيع بن خيثم: من حدثك بهذا الحديث؟ فقال: عمرو بن ميمون الأودي، فلقيت عمرو بن ميمون، فقلت: من حدثك بهذا الحديث؟ فقال: عبد الرحمن بن أبي ليلى، فلقيت عبد الرحمن بن أبي ليلي فقلت: من حدثك؟ قال: أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم[2].

ولقد كان التابعون وأتباعهم يتواصون بطلب الإسناد، للتمييز بين الصادق من الكاذب من الرواة، فيميزوا الأحاديث الصحيحة من التي وضعت كذبا عليه صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك يقول سفيان الثوري: الإسناد سلاح المؤمن، فإذا لم يكن معه سلاح، فبأي شئ يقاتل؟[3]، ويقول عبد الله بن المبارك:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في المقدمة، باب٤: النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها ح٢١.

(٢) مقدمة التمهيد ص ١٤ – المحدث الفاصل ص٢٠

(٣) شرف أصحاب الحديث ص٨٠.

الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، وقال: بيننا وبين القوم القوائم- يعني الإسناد[1].

وقال سفيان الثوري: حدث الزهري يوما بحديث، فقلت: هاته بلا إسناد، فقال الزهري: أترقى السطح بلا سلم؟[2]

واستمر الحال على هذا حتى أصبح طلب الإسناد أمرا بديهيا مسلما به عند العامة والخاصة، فلا يقبل حديث بغير إسناد، وإذا أسند فإنه يبحث عن أحوال رواته، فينظر إلى أهل السنة فيقبل حديثهم، وينظر إلى أهل البدعة فيرد حديثهم، فسبحان القائل: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[3]

١٠- بيان أحوال رواة الحديث ونقلة الأخبار، والكشف عن معايبهم إن وجدت:-

مما تقدم تبين أن الصحابة ومن بعدهم كانوا لا يقبلون الحديث إلا بإسناده، وذلك حتى يتعرفوا على رجاله، ويميزوا بين الثقة الضابط منهم وغيره؛ فيستطيعوا التمييز بين المقبول والمردود من الأحاديث؛ ولذلك درسوا حياة الرواة وسيرتهم، وتتبعوا أخبارهم، وعرفوا جميع أحوالهم، فإذا اتضح لهم ضعف أحدهم أو كذبه، أعلنوا ذلك وأظهروه، بل وكانوا يتتبعون الكذبة ويمنعونهم من التحديث، ويستعدون عليهم السلطان، ولا يأخذهم في ذلك لومة لائم، وفي هذا يقول الإمام مسلم: (وإنما ألزموا أنفسهم الكشف عن معايب رواة الحديث، وناقلي الأخبار، وأفتوا بذلك حين سئلوا، لما فيه من عظيم الخطر، إذ الأخبار في أمر الدين إنما تأتي بتحليل أو تحريم أو أمر أو نهي أو ترغيب أو ترهيب، فإذا كان الراوي لها ليس بمعدن للصدق والأمانة، ثم أقدم على الرواية عنه من قد عرفه ولم يبين ما فيه لغيره، ممن جهل معرفته، كان آثما بفعله هذا، غاشا لعوام المسلمين، إذ لا يؤمن على بعض من سمع تلك الأخبار أن يستعملها، أو

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في المقدمة، باب٥: بيان أن الإسناد من الدين، وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات، وأن جرح الرواة بما هو فيهم جائز، بل واجب وأنه ليس من الغيبة المحرمة، بل من الذب عن الشريعة المكرمة ح٣٢.

(٢) تدريب الراوي ٢-١٦٠.

(٣) سورة الحجر: آية ٩.

يستعمل بعضها، ولعلها أو أكثرها أكاذيب، لا أصل لها، مع أن الأخبار الصحاح من رواية الثقات، وأهل القناعة أكثر من أن يضطر إلى نقل من ليس بثقة، ولا مقنع)[1].

وقد تكلم في الجرح والتعديل كثير من العلماء ذكر منهم ابن عدي الجرجاني في كتابه الكامل جمله إلى زمنه:- فمن الصحابة رضي الله عنهم: عمر، وعلي، وابن عباس، وعبد الله بن سلام، وعبادة بن الصامت، وأنس بن مالك، وعائشة، ومن التابعين عامر الشعبي (ت١٠٤هـ)، وسعيد بن جبير (ت ٩٥هـ)، وابن سيرين (ت١١٠هـ) وسعيد بن المسيب (ت٩٣هـ)، وهم قليل بالنسبة لمن بعدهم، وذلك لقلة الضعف فيمن يروون عنهم إذ أكثرهم صحابة وهم عدول، وغير الصحابة منهم أكثرهم ثقات، ولا يكاد يوجد في القرن الأول من الضعفاء إلا القليل.

وأما القرن الثاني فقد كان في أوائله من أوساط التابعين جماعة من الضعفاء، وضعف أكثرهم نشأ غالبا من قبل تحملهم وضبطهم للحديث، ولما كان آخر عصر التابعين وهو في حدود الخمسين ومائة تكلم في التعديل والتجريح طائفة من الأئمة منهم: الأعمش (ت١٤٨هـ)، وشعبة (ت١٦٠هـ) وكان متثبتا لا يروي إلا عن ثقة، ومثله مالك بن أنس(١٧٩هـ)، وسفيان الثوري (ت١٦١هـ)، وحماد بن سلمة (١٦٧هـ)، والليث بن سعد(ت١٧٥هـ)، وبعد هؤلاء تحدث في الجرح والتعديل: ابن المبارك(ت١٨١هـ)، وهشيم بن بشير(ت١٨٨هـ)، ويحيي بن سعيد القطان(ت١٨٩هـ)، وسفيان بن عيينة(ت١٩٧هـ)، ووكيع بن الجراح (ت١٩٧هـ)، وعبد الرحمن بن مهدي(ت١٩٨هـ)، ثم ظهرت بعدهم طبقة أخرى يرجع إليهم في ذلك منهم: يزيد بن هارون(ت٢٠٦هـ)، وأبو داود الطيالسي(ت٢٠٤هـ)، وعبد الرزاق بن همام(ت٢١١هـ)، وأبو عاصم النبيل بن مخلد(ت٢١٢هـ)، ثم صنفت الكتب في الجرح والتعديل والعلل وبينت فيها أحوال الرجال، وكان رؤساء الجرح والتعديل في ذلك الوقت جماعة منهم: يحيى بن معين (ت٢٣٣هـ) ومن طبقته أحمد بن حنبل(ت٢٤١هـ)، وعلي بن المديني (ت٢٣٤هـ)..واستمر ابن عدي في إحصاء

(١) مقدمة صحيح مسلم باب٧: ما تصح به رواية الرواة بعضهم عن بعض.

أسماء العلماء الذين تكلموا في الجرح والتعديل طبقة بعد طبقة وجيلا بعد جيل إلى عصره، وقد بين هؤلاء العلماء من تقبل روايته ومن لا تقبل، وتكلموا في العدالة وموجباتها، وفي الجرح وأسبابه، وألفت المصنفات الكثيرة في هذا العلم الهام، وكانت مختلفة ومتنوعة، فبعضها أفرد لمعرفة الصحابة فقط رضي الله عنهم، وبعضها أفرد لمعرفة الثقات فقط، وبعضها أفرد لعرفة الضعفاء والمتروكين فقط، وبعضها كان عاما ترجم لكل من روى حديثا عنه صلى الله عليه وسلم، أي جمع بين الثقات والضعفاء وبين حال الجميع، وبعضها ترجم لرجال كتب مخصوصة، وبعضها ترجم لرجال بلاد مخصوصة..، ومن المؤلفات الهامة جدا في الرجال الكتب التي ألفت في علم تواريخ الرواة ووفياتهم: فتكلم فيها علمائنا العظام على تاريخ الرواة ورحلاتهم ومواطنهم، وأبانوا عن مواليدهم ووفياتهم وكثير من أحوالهم مما له أثر في توهينهم أو تقويتهم، فميزوا أوقات ضبطهم وانتباههم عن أوقات غفلتهم واختلاطهم، وكشفوا عن كل ذلك بما لا يدع مجالا للريب، فتراهم يقولون مثلا: فلان ولد عام كذا وسمع وعمره كذا وارتحل إلى البلد الفلاني في وقت كذا وسمع من الشيخ الفلاني والتقى بفلان ولم يلتق بفلان، وفلان اختلط قبل موته بكذا شهر أو سنة وفلان سمع من فلان قبل الاختلاط فيقبل، وفلان سمع منه بعد الاختلاط فلا يقبل وهكذا، ولهذا العلم فوائد جليلة منها:

١- التمييز بين ما يقبل من أحاديث الثقات الذين أدركهم الاختلاط وما لا يقبل منها.

٢- الوقوف على اتصال السند وانقطاعه، فقد يقع من بعض الرواة الكذب أو التدليس أو الإرسال ولا يظهر ذلك إلا للعالم بالتاريخ الواقف على حقيقة الحال، وقد ادعى قوم السماع من قوم، فنظر في التاريخ، فظهر أنهم زعموا الرواية عنهم بعد وفاتهم بسنين: كما سأل إسماعيل بن عياش رجلا اختبارا: أي سنه كتبت عن خالد بن معدان؟ فقال سنة ثلاث عشرة ومائة، فقال: أنت تزعم أنك سمعت خالد بن معدان بعد موته بسبع سنين، فإنه مات سنة ست ومائة، وروى الفضل بن دكين أن المعلى بن عرفان قال: حدثنا أبو وائل قال: خرج علينا بن مسعود بصفين. قال أبو نعيم (يعنى الفضل بن دكين) حاكيه عن المعلى: أتراه بعث بعد الموت، وذلك لأن

بـن مـسعود تـوفى سـنة (ت٣٢هـ)، قبـل انقـضاء خلافـة عثمـان بـثلاث سنوات، وصفين كانت في خلافة على بعد ذلك، وهذا يبين مدى حرص سلفنا الصالح على الوقوف في أحوال الرواة، واهتمامهم البالغ بالرواية والإسناد، لذلك قال سفيان الثوري: لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ.

وقال حفص بن غياث القاضي:إذا اتهمتم السيخ فحاسبوه بالسنين، يعنى سنه وسن من كتب عنه.

وقال حسان بن يزيد: لم نستعن على الكذابين بمثل التاريخ، نقول للشيخ: سنة كم ولدت؟ فإذا أقر بمولده عرفنا صدقه من كذبه(١).

١١- الحرص على الأداء، والحض على أن يطلب ما لديهم من العلم:-

علم الصحابة ومن بعدهم أن ما تحملوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن أو السنة هو وحي يجب عليهم أن يبلغوه لمن بعدهم كما بلغه صلى الله عليه وسلم، فجلس الكثير منهم للتحديث، بل وحثوا التابعين على أن يطلبوا ما عندهم، فنقلوا إلى الأمة الإسلامية ما تحملوه بكل أمانة وصدق وإخلاص وحب وتفان، ولهم القدوة والأسوة الحسنة في سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم، فكثير ما كان يجلس ليحدث أصحابة ويقول: (خذوا عني خذوا عني)(٢).

وهذا علي بن أبي طالب يقول: ألا رجل يسأل فينتفع، وينفع جلساءه(٣).

وعن سعيد بن المسيب قال:ما كان أحد من الناس يقول سلوني غير علي بن أبي طالب(٤).

وعن أبي الطفيل قال: شهدت عليا رضي وهو يخطب ويقول: سلوني فو الله لا تسألوني عن شئ يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم به، وسلوني عن

---

(١) تدريب الراوي ٢-٣٤٩-٣٥٠ والحديث والمحدثون ٤٦٤- ٤٦٥ بتصرف، مقدمة الكامل لابن عدي.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: الحدود، باب٣: حد الزنا، ح٤٣٩٠،٤٣٩٢.

(٣) جامع بيان ١٦٧

(٤) جامع بيان ١٦٧

كتاب الله، فو الله ما منه آية إلا وأنا اعلم بليل نزلت أم بنهار أم بسهل نزلت أم بجبل.....قوله[١].

وعن أبي ملكية قال: دخلنا على ابن عباس فقال: سلوني.

وعن سعيد بن جبير قال: إن مما يهمني أني وددت أن الناس قد أخذوا ما معي من العلم[٢].

وعن الحسن أنه يبتدئ الناس بالعلم ويقول سلوني[٢].

وعن سفيان بن عيينة عن عمر بن دينار قال: قال لي عروة ائتوني فتلقوا مني، وكان عروة يستألف الناس على حديثه[٣].

وعن عكرمة قال: مالكم لا تسألوننا ؟ أفلستم؟.

وعن عبد الرحمن بن مهدي قال: كان زائدة يخرج إلينا فيقول: اكتبوا اكتبوا قبل أن أنسى.

وعن سفيان الثوري قال: والله لو لم يأتوني لآتيتهم في بيوتهم يعني أصحاب الحديث، فقيل له أنهم يطلبونه بغير نية، فقال: طلبهم إياه نية.

١٢- مذاكره الحديث ومراجعته، والحث على ذلك:-

ومن جهود الصحابة والتابعين ومن بعدهم في المحافظة على السنة: الحرص على حفظ الحديث ومذاكرته ومراجعته؛ لاسترجاع ما قد يكون قد نسي منه، وللتمييز بين الضابط من الرواة وغيره؛ فيعرف المقبول من المردود من الأحاديث، فهذا أبو عبد الله الحاكم يقول عقب روايته لحديث: ذاكرت أبا علي الحافظ بهذا الباب، ثم سألته: هل يصح هل يصح شئ من هذه الأسانيد ؟ فقال: لا. قلت: لم؟....

---

(١) جامع بيان ١٦٧

(٢) جامع بيان ١٦٧

(٢) جامع العلم ١٦٦ إلى ١٧٢ بتصرف

(٣) الحاكم فى المستدرك١- ١٠١.

والروايات في المذاكرة والحث عليها كثيرة:

روي عن معاوية أنه قال: كنت مع النبي يوما، فدخل المسجد، فإذا هو بقوم في المسجد قعود، فقال: ما يقعدكم؟ قالوا: صلينا الصلاة المكتوبة،ثم قعدنا نتذاكر كتاب الله وسنة نبي..الحديث[١].

وهذا أبو هريرة يقول: (إني أجزأ الليل ثلاثة أجزاء، فثلث أنام وثلث أقوم، وثلث أتذكر أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم) [٢]

بل وأكثر من هذا فقد كان بعض الصحابة يحفظون الحديث ثم يراجعونه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك ما رواه البخاري عن البراء بن عازب قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجات ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم به). قال: فرددتها على النبي صلى الله عليه وسلم، فلما بلغت: اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، قلت: ورسولك. قال: (لا، ونبيك الذي أرسلت) [٣].

ومما ورد في حثهم على ذلك:

ما رواه البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: تفقهوا قبل أن تسودوا[٤]، وقال: تعلموا السنة والفرائض واللحن كما تتعلمون القرآن[٥].

وما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: تذاكروا الحديث، فإن ذكر الحديث حياته[١].

---

(١) المستدرك١-٩٤ في كتاب العلم وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي.

(٢) الدارمي في سننه ١- ٨٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الوضوء، باب٧٥: فضل من بات على وضوء، ح٢٤٧، وفي كتاب: الدعوات، باب٦: إذا بات طاهرا، ح ٦٣١١.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: العلم، باب١٥: الاغتباط في العلم والحكمة.في الترجمة.

(٥) جامع بيان العلم وفضله ص٤٠٣.

ومـا روي عـن أميـر المـؤمنين علـي بـن أبـي طالـب رضـي الله عنـه أنـه قـال: (تذاكروا الحديث، فإنكم إلا تفعلوا يندرس)[٢]

وقول أبو سعيد الخدري رضـي الله عنـه: تذاكروا الحديث فان مذاكرة الحديث تهيج الحديث[٣].

وقد سار التابعون وأتباعهم على نهج الصحابة، فنجدهم يحفظون ما يسمعون ويتذاكرونـه، ويحثون علـى ذلك، قال عطـاء: كنـا نكون عند جابر بن عبد الله فيحدثنا، فإذا خرجنا من عنده، تذاكرنا حديثه[٤].

وقال الزهري: إنما يذهب العلم النسيان وترك المذاكرة[٥].

قال الليث: تذاكر ابن شهاب ليلة بعد العشاء حديثا وهو جالس متوضئا قال: فما زال ذلك مجلسه حتى أصبح... جعل يتذاكر الحديث[٦].

وروى الأوزاعي عن الزهري أنه قال: آفة العلم النسيان وترك المذاكرة[٧].

وقال الحسن: غائلة العلم النسيان وترك المذاكرة[٨].

و روى عن علقمة قال: تذاكروا الحديث فان ذكر الحديث حياته[٩].

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلـى: إن إحياء الحديث مذاكرته فتذاكروا، فقال عبد الله بن شداد: يرحمك الله، كم من حديث أحييته في صدري قد مات[١٠].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، في كتاب: العلم ١-٩٥.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، في كتاب: العلم ١-٩٥ ومعرفة علوم الحديث ص ٦٠، ١٤١.

(٣) أخرجـه الحـاكم فـي المـستدرك، فـي كتـاب: العلـم ١- ٩٤، جـامع بـين العلـم وفـضله ص١٦٣.

(٤) الدارمي في سننه ١-١٤٩

(٥) جامع بيان العلم ص ١٥٩

(٦) الدارمي ١-١٤٩

(٧) الدارمي١-١٥٠

(٨) جامع بيان العلم ص١٦٠

(٩) الدارمي١- ١٤٧علوم الحديث معرفة ص س١٤١.

(١٠) جامع بين العلم وفضله ص١٦٣.

وروى الأعمش أن إسماعيل بن رجاء كان يجمع صبيان الكتاب يحدثهم، لئلا ينسى حديثه(١).

وروى سعيد بن عبد العزيز عن عطاء الخرساني أنه كان إذا لم يجد أحدا أتى المساكين فيحدثهم، يريد بذلك الحفظ(٢).

وعن سعيد بن عبد العزيز أن خالد بن يزيد بن معاوية كان إذا لم يجد أحدا يحدثه يحدث جواريه، ثم يقول: إني أعلم أنكن لستن بأهل، يريد بذلك الحفظ(٣).

١٣- النهي عن التحديث بما يعلو على فهم العامة:-

لقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخص بنوع من العلم من يرى عليه أثر النبوغ والفهم من الصحابة، وكان يمنعهم من أن يحدثوا العامة بذلك خشية ألا يفهموه فيفتتنوا، روي البخاري في كتاب العلم من صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان راكبا ومعاذ رديفه على الرحل فقال(: يا معاذ بن جبل) قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: (ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار). قال: يا رسول الله، أفلا أخبر الناس فيستبشروا؟ قال: (إذا يتكلوا) وأخبر بها معاذ عند موته تأثما(٤).

وهذا عمر بن الخطاب يرد أبا هريرة، وقد أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يبشر الناس بمثل ما في حديث معاذ، ويقول: ارجع يا أبا هريرة، ويدخل عمر من فوره على النبي صلى الله عليه وسلم يقول له: يا رسول الله أنت قلت لأبي هريرة كذا وكذا، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (نعم)، فقال عمر: لا

---

(١) جامع بين العلم وفضله ص١٦٣.

(٢) جامع بين العلم وفضله ص١٦٤.

(٣) جامع بين العلم وفضله ص١٦٤.

(٤) أجرحه البخاري في صحيحه، في كتاب: العلم، باب٤٩:من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا، وقال علي: حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله، ح ١٢٧،١٢٨،١٢٩، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الإيمان، باب١٠: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا،ح١٤٧.

تفعل، فإني أخشى أن يتكل الناس، فخلهم يعملون، وقد أقره النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال:(فخلهم)[1].

روي مسلم في مقدمة صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع).[ح٩،٧،١٠]، وذلك لأن تحديث العامة بكل شئ – ومعلوم أن عقولهم لا تعقل وتفهم كل شئ – مدعاة إلى تكذيبهم للمحدث فيما لا يفهمونه، وبذلك تضيع ثقتهم به، ولعلهم إن لم يكذبوه وعملوا بما فهموا، تركوا بعض الأحكام الشرعية، وكان هو كالكاذب على الله ورسوله، فقد صرفهم عن العمل بأحكام الدين بسبب تحديثهم بما يعلوا على أفهامهم، وهذا مدعاة لارتيابهم في الدين نفسه.

وقد سار الصحابة رضي الله عنهم على هذا الهدى النبوي في ذلك العصر، فامتنعوا عن التحديث بما لا تدركه أفهام عامة الناس، ونهوا عن ذلك.، فقد روى مسلم عن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قالهما: بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع[2].

و قال علي رضي الله عنه: حدثوا الناس بما يعرفونه، أتريدون أن يكذب الله ورسوله[3].

وروي مسلم في مقدمة صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة، وعن عبد

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: الإيمان، باب١٠: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا،ح١٤٦.

(٢) مسلم في مقدمة صحيحه ح ٩، ١٠.

(٣) أخرجه البخاري، في صحيحه، في كتاب: العلم، باب٤٩:من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا، ح١٢٧.

الرحمن بن مهدي قال: لا يكون الرجل إماما يقتدي به، حتى يمسك عن بعض ما سمع(١).

ويروي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين فأما أحدهم فبثثته وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم(٢).

١٤- تكوين المدارس العلمية في البلدان الإسلامية:-

لقد اتسعت الفتوحات الإسلامية بعد وفاته صلى الله عليه وسلم اتساعا عظيما، ففتح الكثير من البلدان الإسلامية، وكان على اثر هذه الفتوح أن دخل كثير من أهلها في دين الله أفواجا، فتعطشت نفوسهم إلى تعلم أحكام دينهم، وقراءة القرآن وفهمه وحفظه، وسماع أحاديثه صلى الله عليه وسلم، ومعرفة معانيها ومغازيها، فأرسل خلفاء المسلمين إليهم من يعلمهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا وقد نزح كثير من الصحابة إلى تلك البلدان من تلقاء أنفسهم ليفقهوا الناس ويعلموهم أحكام دينهم، فالتف الناس حولهم ينهلون من تلك الينابيع التي أخذت عن الرسول صلى الله عليه وسلم، فتخرج على أيديهم الكثير من التابعين وأتباعهم، الذين حفظوا القرآن، وسمعوا الأحاديث الشريفة، وحفظوها، وحافظوا عليهما، وحملوا لواء العلم لمن بعدهم، فأصبحت تلك الأمصار والأقاليم الإسلامية مراكز علمية، تشع منها أنوار الإسلام وعلومه، والفضل في هذا يرجع أولا لله سبحانه عز وجل الذي تكفل بحفظ دينه، ثم لهؤلاء الصحابة الأجلاء الذين بذلوا كل ما في وسعهم لتبليغ دين الله ونشره في الآفاق، والدفاع والذود عنه، واليك لمحة موجزة عن أهم مراكز التعليم التي تكونت في البلدان الإسلامية: -

مدرسة المدينة المنورة: -

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في المقدمة،ح١٤.وعن ابن وهب قال: قال لي مالك: اعلم أنه ليس يسلم رجل حدث بكل ما سمع، ولا يكون إماما أبدا، وهو يحدث بكل ما سمع. ح١١،١٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: العلم، باب ٤٢: حفظ العلم ح١٢٠.

هي أهم المدارس فبها حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر حديثه، لأن أكثر التشريع الإسلامي كان بها، وكان المهاجرون يحبون المقام بها، ويكرهون التحول عنها إلي مكة أو غيرها، ففيها التفوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقون القرآن العظيم والحديث الشريف، ويتعلمون ويحفظون أحكام دينهم، وما زالت المدينة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم هي عاصمة الأمة الإسلامية، ومركز الخلافة الراشدة، ومقر لكبار الصحابة، ولذلك نري في المدينة كبار الصحابة الذين رسخوا العلم، وكانت لهم مكانة عظيمة في الحديث، ومن هؤلاء أبو بكر الصديق، وعمرو بن الخطاب، وعثمان، وعلى رضي الله عنهم، وأبو هريرة،وعائشة، أم المؤمنين، عبدالله بن عمرو، وأبو سعيد الخدري، وزيد بن ثابت وغيرهم الله عنهم رضي، وقد تخرج على أيدي هؤلاء الأجلاء الفوج الأول من كبار التابعين بالمدينة، من أشهرهم: سعيد بن المسيب، عروة بن الزبير، وابن شهاب الزهري، وعبيدالله بن عتبة بن مسعود، وسالم بن عبد الله بن عمرو، ومحمد بن المنكدر، ونافع مولي ابن عمر، والقاسم بن محمد بن أبي بكر وغير هؤلاء من حفاظ السنة الذين كانوا مرجع الأمة في السنة والقضاء والفتوى.

مدرسة مكة المكرمة:

وحمل لوائها الأول معاذ بن جبل رضي الله عنه، فعندما فتح الرسول صلى الله عليه وسلم مكة، خلف فيها معاذ بن جبل يعلم أهلها الحلال والحرام ويفقههم في الدين، ويقرئهم القران، وكان معاذ من أفضل شباب الأنصار علما وحلما وسخاء، وكان من أعلم الصحابة بالحلال والحرام، وقد روي عنه عدد كبير من الصحابة منهم: ابن عباس الذي تزعم مدرسة الحديث بمكة بعد رجوعه من البصرة، كما كان فيهما عتاب بن أسيد خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخوه خالد بن أسيد، والحكم بن أبي العاص، وعثمان بن أبي طلحة وغيرهم.

وقد تخرج في مكة على أيدي هؤلاء الصحابة مجاهد بن جبر، وعطاء بن أبي رباح، وطاوس بن كيسان، وعكرمة مولي ابن عباس وغيرهم.

مدرسة الكوفة:

كانت الكوفة هي قاعدة الجيوش الإسلامية؛ ولذلك نزل بها عدد كبير من الصحابة زمن الفتوح ومنهم: على، عبدالله بن مسعود، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وخباب بن الأرت، وسلمان الفارسي، وحذيفة بن اليمان، وعمار بن ياسر، وأبو موسى الأشعري، والبراء بن عازب وغيرهم الكثير(١).

وقد تخرج على أيد هؤلاء الأساتذة كبار التابعين الذين حفظوا الشريعة وحافظوا على السنة منهم: عامر بن شرا حيل الشعبي، وسعيد بن جبير الأسدي، وإبراهيم النخعي، وعبدالملك بن عمير وغيرهم(٢).

مدرسة البصرة:

وحل بالبصرة الكثير من الصحابة منهم أنس بن مالك، وكان إمام البصرة في الحديث، وأبو موسى الأشعري، عبدالله بن عباس، الذي ولي إماراتها لأمير المؤمنين على بن أبي طالب، ونزل بها أيضا عمران بن حصين، وعتبة بن غزوان وغيرهم.

ومن أشهر من تخرج في هذه المدرسة: الحسن البصري الذي أدرك خمسمائة من الصحابة، ومحمد بن سيرين، وأيوب السختياني، وقتادة بن دعامة، وعاصم بن سليمان الأحول وغيرهم.

مدرسة الشام:

واليها ذهب عدد كثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الوليد بن مسلم: دخلت الشام عشرة ألاف عين رأت رسول الله(٣)، وسبب ذلك أن يزيد بن أبي سفيان كان قد كتب إلى عمر بن الخطاب ليعينه بالعلماء ليفقهوا أهل الشام، فأرسل إليه معاذ بن جبل إلى فلسطين، وعبادة بن الصامت إلي حمص، وأبا الدرداء إلى دمشق، وممن نزل الشام أيضا أبو عبيدة بن

(١) من علوم الحديث للحاكم صـ١٩١.
(٢) انظر علوم الحديث صـ١٩٢.
(٣) التاريخ الكبير ١-١٦٩.

الجراح، وبلال بن رباح، وخالد بن الوليد، وشرحبيل بن حسنه، والفضل بن العباس بن عبدالمطلب وغيرهم(١).

وقد تخرج على أيدي هؤلاء الصحابة كبار علماء الشام من التابعين منهم: سالم بن عبدالله المحاربي قاضي دمشق، وأبو إدريس الخولاني، والاوزاعي، ومكحول، وعمر بن عبدالعزيز، ورجاء بن حيوه وغيرهم.

مدرسة مصر:

دخل المسلمون مصر في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأمره عمر بن العاص رضي الله عنه، وكان معه من الصحابة عدد كبير منهم: الزبير بن العوام، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد، والمقداد بن الأسود، عبدالله بن عمرو بن العاص أحد المكثرين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي كان يدون الحديث بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أخذ من العلم وتخرج على يديه خلق كثير من محدثي مصر، وكذلك نزل بمصر: عقبة بن عامر الجهني، وخارجه بن حذافة، عبدالله بن سعد بن أبي شرح وغيرهم

وتخرج على أيدي هؤلاء: يزيد بن أبي حبيب محدث الديار المصرية، وعمر بن الحارث، وخير بن نعيم الحضرمي، عبدالله بن سليمان الطويل، وحيوه بن شريح الفافقي، وغيرهم، وكان ليزيد بن أبي حبيب أثر كبير وعظيم في نشر الحديث في مصر، فقد تتلمذ عليه الليث بن سعد الذي تتلمذ على يده خلق كثير من أهل مصر(٢).

مدرسة اليمن:

وأستاذها الأول هو معاذ بن جبل الذي وجهه الرسول صلى الله عليه وسلم إليها ليعلم أهلها أمور الدين، وكذلك أبو موسى الأشعري وغيرهما كثير.

وتخرج بهذه المدرسة عدد من ألمع التابعين، منهم همام ووهب ابنا منبه، وطاووس ،وابنه، ومعمر بن راشد، وعبدالرزاق بن همام الصنعاني وغيرهم.

مدرسة خراسان:

---

(١) انظر معرفة علوم الحديث ص ١٩٣

(٢) علوم الحديث ص١٩٣.

نزل خراسان من الصحابة وتوفي بها بريدة بن حصيب الأسلمي، وهو مدفون بمرو، وأبو برزه الأسلمي، والحكم بن عمرو الغفاري، عبدالله بن خازم الأسلمي، وقثم بن العباس، وفي هذه البلاد ظهر كبار المحدثين: ففي بخارى كان عيسى بن موسى غنجار، وأحمد بن حفص الفقيه، ومحمد بن سلام البيكندي، عبدالله بن محمد السندي، ثم أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، وفي سمرقند: أبو عبدالله بن عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، ثم محمد بن نصر المروزي وغيرهم(١).

١٥- الرحلة في طلب الحديث وتحصيله:

ومن الجهود العظيمة التي بذلها الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من أجل المحافظة على سنته صلى الله عليه وسلم: تلك الرحلات العلمية المضنية التي طوفوا فيها شرقا وغربا لجمع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وتحملها من أصحابها مباشرة وبدون واسطة، فقد كان الواحد منهم يرحل المسافات الشاسعة، ويجتاز الفيافي والقفار ويعاني أشد المعاناة في سفره ليس من أجل تحصيل مال أو جاه أو منصب؛ وإنما لطلب الحديث، بل طلبا لحديث واحد، وقد كان هذا أمرا طبيعيا فيهم وتميزوا به، وكانوا يفعلونه عن طيب خاطر، بل وبحب وشغف وتفان، طلبا لمرضاة الله، وحبا لرسوله ودفاعا عن سنته، وصيانة لها من أن تندرس وتضيع بذهاب حامليها، وقبل كل ذلك امتثالا لأمره تعالى في قوله جل وعلا: (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)(٢)، وتصديقا لخبره صلى الله عليه وسلم حين قال: (من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة) (٣).

هذا وقد ورد في الصحيح ما يدل على وقوع الرحلة طلبا للعلم منذ الصدر الأول للإسلام، فقد كانت الوفود تأتي إليه صلى الله عليه وسلم لتسمع منه

---

(١) من السنة قبل التدوين ١١١-١١٨ بتصرف و ١٠١-١٠٨بتصرف

(٢) سورة التوبة: آية ١٢٢.

(٣) أخرجه جزء حديث، مسلم في صحيحه، في كتاب الذكر والدعاء، باب:١١: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر، ح ٦٧٩٣.

صلى الله عليه وسلم، وتتعرف عليه، وعلى الدين الجديد وتعاليمه، وتستمع إلى القرآن السنة منه صلى الله عليه وسلم، وكان يمكن أن يكتفوا بالسماع ممن ذهب إليهم وبلغهم، ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ولم يعترض عليه، روى مسلم في صحيحه عن أنس قال: نهينا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شئ، فكان يعجبنا أن يجئ الرجل من أهل البادية، العاقل، فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجل منهم فقال: يا محمد، أتانا رسولك، فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك؟ قال صلى الله عليه وسلم: (صدق)....الحديث[1].

وقال أبو عبد الله الحاكم: الحديث فيه دليل على إجازة طلب العلو في الإسناد، وترك الاقتصار على النزول فيه، وإن كان سماعه عن ثقة، إذا البدوي لما جاءه رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره بما فرض الله عليهم لم يقنعه ذلك حتى رحل بنفسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه، ولو كان العلو في الإسناد غير مستحب لأنكر المصطفي صلى الله عليه وسلم سؤاله إياه مما أخبر رسوله عنه، ولأمره بالاقتصار على ما أخبره الرسول عنه[2].

وفي عصر التابعين انتشرت الرحلة في طلب الحديث انتشارا كبيرا، وخصوصا بعد تفرق كبار الصحابة في البلدان الإسلامية، ومع كل واحد منهم ما قدر الله له أن يسمعه ويحفظه من أحاديثه صلى الله عليه وسلم، فلم يكونوا رضي الله عنهم على درجة واحدة في حفظ الحديث وجمعه، بل كانوا مختلفين، فقد سمع البعض من النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يسمع آخرون، وحدث النبي صلى الله عليه وسلم قوما بما لم يحدث به آخرين، ووقع من الحوادث أمام قوم ما لم يشهده آخرون، ولذلك لم يكن أمام أهل كل مصر من الصحابة والتابعين إلا الرحلة والتطواف من بلد إلى بلد، من أجل لقائهم والأخذ عنهم، وسماع ما لم يسمعوه منه صلى الله عليه وسلم، أو التأكد من صحة لفظ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب٣: السؤال عن أركان الإسلام،ح١٠٢، وبلفظ مقارب: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب: ما جاء في العلم، ح ٦٣.
(٢) معرفة علوم الحديث صـ٥.

الحديث وضبطه، فشمروا عن ساعد الجد وجابوا البلدان شرقا وغربا من أجل هذه الغاية الشريفة، مستعذبين في سبيل ذلك جميع المشقات والصعاب.

واليك بعض الروايات التي وردت في رحلة الصحابة والتابعين وأتباعهم لطلب العلم، والتي تبين الجهود العظيمة التي قاموا بها لجمع الحديث، وسماعه من أصحابه وحفظه ونشره:

حدث عطاء ابن أبي رباح قال: خرج أبو أيوب الأنصاري إلي عقبة بن عامر، يسأله عن حديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يبق أحد سمعه من رسول الله غيره وغير عقبه، فلما قدم الي منزل مسلمة بن مخلد الأنصاري وهو أمير مصر خرج إليه فعانقه، ثم قال له: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فأخبره بالسبب ثم قال له: فابعث من يدلني على منزل عقبة. فبعث معه من يدله على المنزل، فخرج إليه عقبة وعانقه وسأله عن سبب مجيئه. فقال: حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يبق أحد سمعه منه غيري وغيرك، في ستر المؤمن. فقال عقبة نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من ستر مؤمنا في الدنيا على خزيه ستره الله يوم القيامة) فقال أبو أيوب صدقت، ثم انصرف الي راحلته فركبها راجعا الي المدينة، وما حل رحله، فما أدركته جائزة مسلمة بن مخلد إلا بعريش مصر. وقال أبو عبدالله الحاكم فهذا أبو أيوب الأنصاري على تقدم صحبته وكثرة سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم رحل إلى صحابي من أقرانه في حديث واحد، ولو اقتصر على سماعه من بعض أصحابه لأمكنه(١).

وروي البخاري في صحيحه في كتاب العلم عن الشعبي عن أبي برده عن أبيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأديبها، وأعتقها فتزوجها فله أجران، و أيما رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه، وآمن بي فله أجران، و أيما ملوك أدى حق مواليه وحق ربه فله أجران) فلما انتهى الشعبي من رواية هذا الحديث قال للسامع الذي يتلقاه عنه:

خذها بغير شئ، وقد كان يرحل فيما دونها إلى المدينة.

(١) معرفة علوم الحديث ص ٨، جامع بيان العلم ص- ٩٣- ٩٤.

وعن عمرو بن سلمة قال: قلت للاوزاعي: يا أبا عمرو، أنا ألزمك منذ أربعة أيام ولم اسمع منك إلا ثلاثين حديثا؟ قال: وتستقل ثلاثين حديثا في أربعة، أيام لقد سافر جابر بن عبدالله إلى مصر، واشترى راحلة فركبها، حتى سئل عقبة بن عامر عن حديث واحد، وانصرف إلى المدينة، وأنت مستقل ثلاثين حديثا في أربعة أيام(١).

قال أبو عبدالله: وجابر بن عبدالله مع كثرة حديثه وملازمته رسول الله صلى الله عليه وسلم رحل إلى من هو مثله أو دونه مسافة بعيدة في طلب حديث واحد، وقد روى عن جابر بن عبدالله قال: بلغني حديث عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم في القصاص ولم أسمعه، فابتعت بعيرا فشددت رحلي عليه، ثم سرت شهرا حتى قدمت مصر، فأتيت عبدالله بن أنيس الأنصاري، فقلت للبواب: قل له جابر على الباب، فقال: ابن عبدالله ؟ قلت: نعم، فأته، فأخبره، فقام يطأ ثوبه، حتى خرج إلي، فاعتنقي واعتنقته، فقلت له: حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في القصاص، ولم أسمعه، فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه، فقال عبد الله: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (يحشر الله العباد– أو قال الناس– عراة غرلا بهما) قال: قلنا وما بهما؟ قال: (ليس معهم شئ، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار، وعنده مظلمة حتى أقصه منه، حتى اللطمة، قلنا: كيف ذا، وإنما نأتي الله غرلا بهما؟ قال: بالحسنات والسيئات(٢)، وتلا صلى الله عليه وسلم قول الله سبحانه وتعالى: (الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ)(٣)

وهذا عبدالله بن عباس رضي الله عنه يقول: كان يبلغنا الحديث عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فلو أشاء أن أرسل إليه حتى يجيئني فيحدثني فعلت، ولكنى كنت أذهب إليه فأقيل على داره حتى يخرج فيحدثني(٤).

---

(١) معرفة علوم الحديث ص ٨.
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب: التفسير ٢–٤٣٨ وصححه ووافقه الذهبي.
(٣) سورة غافر آية: ١٧.
(٤) من جامع بيان العلم وفضله ص١٤١.

وعلى درب الصحابة الكرام سار التابعون وأتباعهم من أئمة العلم والدين فقد كانوا يرحلون المسافات الطويلة إلى جميع البلدان؛ لسماع الحديث ممن سمعه، فهذا سعيد بن المسيب يقول: إني كنت لأسافر مسيرة الأيام والليالي في الحديث الواحد(١).

وعن أبي العالية قال: كنا نسمع الرواية عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في البصرة، فلم نرض حتى ركبنا إلي المدينة فسمعناها من أفواههم(٢).

وعن عامر الشعبي قال: ما علمت أن أحدا من الناس كان أطلب لعلم في الآفاق من مسروق(٣).

وقال الشعبي في الحث على الرحلة: لو أن رجلا سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن ليسمع كلمة حكمة، ما رأيت أن سفره ضاع(٤).

وروي أن مسروقا رحل في حرف(٥)

وعن بسر بن عبيدالله الحضرمي قال: إن كنت لأركب إلى المصر من الأمصار في الحديث الواحد لأسمعه(٦).

وعن كثير بن قيس قال: كنت جالسا عند أبي الدرداء في مسجد دمشق، فأتاه رجل فقال: يا أبا الدرداء أتيتك من المدينة، مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لحديث بلغني أنك تحدث به عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: فما جاء بك تجارة؟ قال: لا. قال: ولا جاء بك غيره؟ قال: لا. قال: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض، حتى الحيتان في الماء، وان فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وان العلماء

(١) معرفة علوم الحديث ص٨، جامع بيان العلم ص١٤١.
(٢) الجامع لأخلاق الراوي ١٦٨ الكفاية ص ٤٠٢
(٣) من جامع بيان العلم ص ١٤١.
(٤) جامع بيان العلم ص ١٤٢
(٥) جامع بيان العلم ص ١٤١
(٦) جامع بيان العلم ص ١٤٢

ورثة الأنبياء، أن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر) [1].

وممن ارتحل أيضا في سبيل العلم وتحصيل الحديث: أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، وأصحاب الكتب الستة الأصول وغيرهم كثير.

وأخبار رحلات العلماء، وحثهم عليها، لتحصيل الحديث أكثر من أن تحصى، ومما تقدم يتبين لنا مدى الجهد الجبار الذي بذله الصحابة ومن بعدهم من أجل تحصيل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وضبطه ونقله لمن بعدهم، فضربوا أروع الأمثلة لمن بعدهم من أهل الحديث، فجزاهم الله عن الأمة الإسلامية خير الجزاء.

فوائد الرحلة في طلب الحديث:

١- جمع السنة من الصحابة الذين تفرقوا في البلاد الإسلامية، حاملين معهم ما أخذوه من علم عنه صلى الله عليه وسلم، فكان من عناية الله بسنة نبيه أن هيأ لها في كل جيل رجالا عظاما هان عليهم في سبيل جمعها والمحافظة عليها كل الصعاب والمشقات، حتى حفظت في المصنفات وتميز الصحيح من السقيم منها.

٢- الحصول على الحديث بإسناد عال، والعلو في الإسناد له أقسام خمسة:

أولها: القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسناد نظيف غير ضعيف، وذلك من أجل أنواع العلو.

الثاني: القرب من إمام من أئمة الحديث، وإن كثر العدد من ذلك الإمام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الثالث: العلو بالنسبة إلى رواية الصحيحين أو أحدهما، أو غيرهما من الكتب المعروفة المعتمدة.

الرابع: العلو المستفاد من تقدم وفاة الراوي.

الخامس: العلو المستفاد من تقدم السماع[2].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، في المقدمة، باب ١٧: فضل العلماء، والحث على طلب العلم ح ٢٢٣.

(٢) مقدمة ابن الصلاح١٣٠ -١٣٣.

وقد ذكر الإمام أحمد أن طلب الإسناد العالي هو سنة ممن سلف، لأن أصحاب عبدالله كانوا يرحلون من الكوفة إلى المدينة، فيتعلمون من عمر ويسمعون منه(١).

ولقد عني المحدثون بالعلو عناية كبيرة، وحرصوا عليه وتجشموا في تحصيله المشقات حتى رحلوا إلي الأقطار سعيا وراء ذلك، وحثوا عليه ومدحوه، قال محمد بن أسلم الطوسي: قرب الإسناد قرب- أو قربة – إلى الله(٢)، وقد قيل ليحى بن معين في مرض موته: ما تشتهي؟ قال: بيت خال، وإسناد عال(٣).

٣- حماية الحديث من أي خطأ أو خلل: قال ابن الصلاح: العلو يبعد الإسناد من الخلل، لأن كل رجل من رجاله يحتمل أن يقع الخلل من جهته سهوا أو عمدا، ففي قلتهم قلة جهات الخلل، وفي كثرتهم كثرة جهات الخلل(٤).

٤- انتشار علم الحديث رواية: فعندما يذهب المحدث الي بلد ما طلبا لما عند أهله من الحديث، فانه يسمع هو وغيره من أهل هذه البلد، ويحمل عنهم، وكذلك يسمع منه أهل هذه البلد ويحملون عنه، فأدى ذلك إلى تبادل المعلومات، ونشر أحاديثه صلى الله عليه وسلم بين المسلمين، ونقلها من قطر إلى قطر، وإشاعة روايتها.

٥- التعرف على رجال الحديث وبيان أحوالهم: فالرحلة مكنت من لقاء المحدثين لبعضهم البعض، وبالتالي التعرف على أحوال رواة الحديث، وأخبارهم لا سيما من ناحية الجرح والتعديل، وبالتالي تمييز القوي من الضعيف، والصادق من الكاذب، فيتميز المقبول من المردود من الأحاديث.

---

(١) تدريب الراوي٢-١٦٠.

(٢) من تدريب الراوي٢-١٦٠.

(٣) مقدمة ابن الصلاح ص١٣٠.

(٤) مقدمة بن الصلاح ص١٣٠ تدريب الراوي ٢-١٦٠: ١٧٠.

٦- الوقوف على طرق الحديث ومتابعاته وشواهده، فعندما يذهب المحدث من بلد إلي بلد آخر طلبا لحديث، فانه يمكن أن يجد لحديثه طرقًا أخرى غير التي عنده، ومن المعلوم أن تعدد الطرق، ووجود المتابعات والشواهد تفيد الحديث وتكسبه قوة وصدقا، فيقدم عندما يعارضه حديث مثله في القوة ولكنه أقل في عدد الطرق.

٧- ضبط لفظ الحديث قبل نسبته إليه صلى الله عليه وسلم، كما فعل أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

٨- الوقوف على جميع ألفاظ الحديث الواحد، ومعلوم أن الألفاظ المختلفة للحديث تساعد على فهمه، فاللفظ الذي جاء غامضا في رواية، يمكن أن يفهم ويتضح المراد منه في لفظ آخر.

٩- معرفة سبب قوله صلى الله عليه وسلم للحديث، إن كان له سبب ممن شهد ذلك وحضره.

١٠- المساعدة على معرفة الناسخ من المنسوخ من أحاديثه صلى الله عليه وسلم، وذلك لا يكون إلا بتصريحه صلى الله عليه وسلم، أو بقول الصحابي، أو بمعرفة تاريخ الأحاديث وأيها متقدم وأيها متأخر، ولا طريق لذلك إلا بجمع روايات الحديث من مصادرها الاصليه.

١١- كشف العلل الخفية التي يمكن أن تكون في سند الحديث، أو متنه مثل: وصل المرسل أو رفع الموقوف، أو إدخال حديث في حديث آخر، أو غير ذلك، ولا طريق يكشف ذلك إلا بتقصي الأسانيد والروايات، ولقاء رواة الأحاديث، وجهابذة علم الحديث، ومذاكرة الحديث معهم، وبذلك يتضح الصحيح من السقيم من الأحاديث، وفي ذلك قال الخطيب البغدادي في[1]: لو كان حكم المتصل والمرسل واحدا لما ارتحل كتبة الحديث، وتكلفوا مشاق من الأسفار إلى ما بعد من الأقطار للقاء العلماء والسماع منهم في سائر الأفاق.

١٢- تعيين المبهم من رجال الإسناد، وذلك من خلال الوقوف على روايات أخرى للحديث.

---

(١) الكفاية ص٤٠٢.

١٣- تمييز المهمل من خلال الوقوف على روايات أخرى للحديث.
١٤- تمييز المقبول من المردود من رواية المدلسين عن طريق جمع روايات الحديث، فيقبل ما صرح فيه بالسماع، ويرد غيره.

وللرحلة فوائد أخرى كثيرة يمكن للقارئ الكريم أن يستنبطها بنفسه، وإنما ذكرت بعضا من فوائدها التي عادت بالنفع على سنته صلى الله عليه وسلم.

١٦- تدوين السنة:

لقد مرت كتابة السنة الشريفة بالكثير من المراحل الهامة حتى جمعت، ودونت مرتبة مصنفة مضبوطة، مميزا بين المقبول منها والمردود، وكانت هذه المراحل كالتالي:

أولا: تدوين الحديث في عهده صلى الله عليه وسلم:-

من المعلوم لعلماء الحديث وجماهير المسلمين أن السنة لم تدون تدوينا رسميا في عهده صلى الله عليه وسلم ولا في عهد الصحابة وكبار التابعين رضي الله عنهم، وقد ذكر العلماء لذلك أسبابا منها ما يلي: -

١- نهيه صلى الله عليه وسلم عن كتابة الحديث، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تكتبوا عني، ومن كتب عني شيئا غير القران فليمحه...الحديث) [١].

٢- مخافة الانشغال بكتابة السنة عن كتابة القران وتدبره وفهمه وحفظه، فقد عاش صلى الله عليه وسلم بين أصحابه ثلاثًا وعشرين سنة، فكان تدوين كل ما يرد عنه صلى الله عليه سلم من قول أو فعل أو غيره أمر ليس بالهين لما يحتاج إليه من تفرغ كثير من الصحابة لهذا العمل الشاق، وقد كان الكاتبون قلة في عهده صلى الله عليه وسلم، فرأى أن يدفع هذا الحرج عن المسلمين وألا يشتت فكرهم، ويشغلهم بكتابة شئ أخر غير كتاب الله، وذلك حتى يكتبوه محررا مضبوطا تاما خاليا من أي خطأ.

٣- الخوف من الاتكال على الكتابة والانشغال بها عن الحفظ، فتضيع تلك الملكة التي وهبها الله لهم وامتازوا بها عن غيرهم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: الزهد، باب١٦: التثبت في الحديث، وحكم كتابة العلم،ح ٧٤٣٥.

ولكن ليس معنى هذا النهي أن السنة لم يدون منها شئ في عهده صلى الله عليه وسلم أو عهد أصحابه، لا، فقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم أذن لبعض الصحابة في كتابة الحديث، فقد وردت أحاديث كثيره تدل على ذلك منها:

١- ما أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب العلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: (اكتبوا لأبي شاه)[١]، أي الخطبة التي خطبها صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة، وقد سأله أبو شاه أن يكتبها له لأنه لا يحفظ.

٢- قول عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما كنت أكتب كل شئ أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: تكتب كل شئ سمعته من رسول الله، ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضي؟ فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله، فأومأ إلي فيه وقال: (اكتب فو الذي نفسي بيدي ما خرج منه إلا حق) [٢].

٣- قول أبو هريرة رضي الله عنه: ما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثا مني، إلا ما كان من عبدالله بن عمرو، فانه كان يكتب ولا أكتب[٣].

٤- ما ثبت من أن بعض الصحابة كانت لهم صحف يدونون فيها بعض ما سمعوه من الرسول صلى الله عليه وسلم، كصحيفة عبدالله بن عمرو بن العاص التي كان يسميها الصادقة[٤]. وقد روي البخاري في صحيحه أن علي رضي الله عنه سئل: هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم شئ سوى القران؟ فقال: لا والذي فلق الحبة وبرء النسمة، إلا أن يعطي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب اللقطة، باب٧: كيف تعرف لقطة أهل مكة، ح٢٤٣٤، وفى كتاب العلم، باب ٣٩: كتابة العلم، ح١١٢.

(٢) الدارمي ١ – ١٢٥ و جامع بيان العلم.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب العلم، باب٣٩: كتابة العلم، ح ١١٣.

(٤) جامع بيان العلم.

الله عبدا فهما في كتابه، وما في هذه الصحيفة. قلت: وما في هذه الصحيفة ؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر[1].

هكذا نرى أنه قد روي عن رسول الله صلى لله عليه وسلم من الحديث الصحيح ما يدل على نهيه صلى الله عليه وسلم عن الكتابة، وكذلك ما يدل على إذنه فيها، وقد حاول العلماء الجمع بين هذه الأحاديث المتعارضة، فذكروا ما يلي لدفع هذا التعارض:

١- أن النهي كان خاصا بوقت نزول القران خشية التباسه بغيره، والإذن في غير ذلك.

٢- أن النهي كان خاصا بكتابة غير القرآن مع القرآن في صحيفة واحدة، والإذن كان بكتابة ذلك متفرقا حتى يؤمن الالتباس.

٣- قيل أن النهي كان خاصا بمن خشي منه الاتكال على الكتابة وإهمال الحفظ، والإذن كان لمن أمن منه ذلك.

٤- أن النهي كان في حق من وثق في حفظه، والإذن كان في حق من لم يوثق في حفظه كأبي شاه.

٥- أن النهي كان عاما، وخص بالسماح لمن كان قارئا كاتبا مجيدا لا يخطئ في كتابته كعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

٦- ومن العلماء من أعل حديث أبي سعيد وقال: الصواب وقفه على أبي سعيد، ولكن هذا القول رده كثير من العلماء لثبوت الحديث في صحيح مسلم.

٧- وذهب بعض العلماء إلى أن النهي عن الكتابة متقدم، والإذن ناسخ له عند الأمن من اختلاط القران بالحديث، وذلك عندما كثر عدد المسلمين، وعرفوا القرآن معرفة تامة، وتمرسوا على أسلوبه، واستطاعوا التمييز بينه وبين الحديث، زال هذا الخوف، ونسخ الحكم الذي كان مترتبا عليه، وصار الأمر إلى الجواز. وقد ذهب إلى هذا القول كثير من العلماء، قال ابن حجر: وهو أقربها مع أنه لا ينافيها، ولعل مما يؤكد هذا القول ما رواه البخاري عن ابن عباس أنه قال: لما اشتد بالنبي صلى الله عليه

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب العلم، باب٣٩: كتابة العلم، ح١١١.

وسلم وجعه، قال: (ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده) قال عمر: إن النبي صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله حسبنا. فاختلفوا، وكثر اللغط، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع) فخرج ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين كتابه[1].

وفي هذا دليل علي إباحته صلى الله عليه وسلم قبل وفاته لكتابة الحديث، ولكن كما ذكرت آنفا أن السنة لم تدون رسميا مثل القرآن، ولم يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك.

ثانيا: تدوين الحديث في عهد الصحابة وكبار التابعين:-

مع إباحة الرسول صلى الله عليه وسلم لكتابة الحديث وإذنه في ذلك، إلا أن السنة لم تدون في هذا الوقت أيضا تدوينا رسميا من جهة الدولة، وذلك لاختلافهم في حكم تدوينها، فكره ذلك طائفة، منهم: عمر، وابن عمر، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبو موسى، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وابن عباس وغيرهم.

وأباحها طائفة وفعلوها، منهم: عمر أيضا، وعلي، وابنه الحسن، وابن عمرو، وأنس، وجابر، وابن عباس، وابن عمر أيضا،والحسن، وعطاء، وسعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز، وحكاه عياض عن أكثر الصحابة والتابعين. وقال البلقيني: وفي المسألة مذهب ثالث حكاه الرامهرمزي وهو: المحو بعد الحفظ، ثم أجمعوا بعد ذلك على جوازها، وزال الخلاف[2].

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفكر في جمع السنة وتدوينها، للمحافظة عليها، ثم لم يلبث أن عدل عن ذلك أيضا من أجل المحافظة عليها وعلى القرآن الكريم، فقد روى الزهري عن عروة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يكتب السنن، فاستفتى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، فأشاروا عليه بأن يكتبها، فطفق يستخير الله فيها شهرا، ثم أصبح يوما وقد عزم الله له، فقال: إني كنت أريد أن أكتب السنن، وإني ذكرت قوما كانوا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب العلم، باب٣٩: كتابة العلم، ح١١٤.
(٢) تدريب الراوي٢- ٦٥.

قبلكم كتبوا كتبا، فأكبوا عليها، وتركوا كتاب الله، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشئ أبدا. وفي رواية مالك بن أنس أن عمر بن الخطاب قال: لا كتاب مع كتاب الله[1].

وهذا يدل على أن ما حدث في هذا العصر كان مثل ما حدث في عهده صلى الله عليه وسلم، البعض يكتب والبعض لا يكتب، ولم تدون السنة تدوينا رسميا في كتاب خاص بها مثل القرآن الكريم، وذلك خشية أن يهمل كتاب الله، أو أن يضاهى به كتاب آخر.

ثالثا: التدوين في عصر التابعين:-

ذكرنا أنه مر عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة ولم تدون السنة في كتاب واحد كالقرآن، ولكن كتب القليل منها بمجهودات فردية، واستمر الحال على هذا المنوال حتى انتشر الإسلام، واتسعت الفتوحات الإسلامية، فتفرق الصحابة في البلدان الإسلامية، ومات الكثير منهم، وقل الضبط وكثر الابتداع، فدعت الحاجة إلى جمع السنة من أصحابها قبل اندراسها وضياعها بذهاب أصحابها، وقبل أن يفشو الكذب والوضع فيها، وتنبه إلى ذلك الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (تولى الخلافة في صفر سنة٩٩هـ، وتوفي في رجب ١٠١هـ) وكان ذلك على رأس المائة، فكتب إلى العلماء والعمال على البلدان الإسلامية يأمرهم بجمع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وتدوينها، روى البخاري في صحيحة: وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم (ت١١٠، وقيل ١١٧، وقيل١١٦هـ): انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه، فإني خفت دروس العلم ذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وليفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا[2].

وأخرج أبو نعيم في تاريخ أصبهان: أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أهل الآفاق: انظروا إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه[3].

---

(١) جامع بيان العلم ص ١٠٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب العلم، باب٣٤: كيف يقبض العلم.

(٣) فتح الباري ١-٦٣.

وقد ذكر ابن حجر أن أول من استجاب لهذا الطلب، وقام بتدوين السنة هو: عالم الحجاز والشام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري(ت١٢٤هـ)، وقال: ثم كثر التدوين، ثم التصنيف وحصل بذلك خير كثير[١].

ثم شاع التدوين في الطبقة التي تلي طبقة الزهري وأبي بكر بن حزم، فألف: أبو محمد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (ت١٥٠هـ) بمكة، ومعمر بن راشد باليمن(ت ١٣٥هـ)، وأبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي(ت١٥٦هـ) بالشام، وسعيد بن أبي عروبة (ت ١٥٦هـ)، والربيع بن صبيح(ت١٦٠هـ)، وحماد بن سلمة(ت١٧٦هـ) بالبصرة، ومحمد بن إسحاق(ت١٥١هـ) ومالك بن أنس(ت١٧٩هـ) بالمدينة، وسفيان الثوري(ت١٦١هـ) بالكوفة، وعبد الله بن المبارك(ت١٨١هـ) بخراسان، وهشيم(ت١٨٨هـ) بواسط، والليث بن سعد(ت ١٧٥هـ) بمصر، وجرير بن عبد الحميد (ت١٨٨هـ) بالري، وغير هؤلاء، وكلهم من أهل القرن الثاني الهجري، وكان منهج المؤلفين في هذا العصر: جمع أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم مختلطة مع أقوال الصحابة والتابعين وفتاويهم، ويظهر هذا جليا في موطأ الإمام مالك، فهو من أهم الكتب التي ألفت في هذه المرحلة[٢].

التدوين في القرن الثالث الهجري:-

وفي هذا القرن ظهر طور آخر من أطوار التدوين، فقد قام علماء هذا العصر بإفراد أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وحدها، وتجريدها من أقوال الصحابة والتابعين وفتاويهم، وكذلك التمييز بين الصحيح والسقيم منها، وفي ذلك يقول ابن حجر: ٠٠٠٠إلى أن رأي بعض الأئمة أن يفرد حديث النبي صلى الله عليه وسلم خاصة، وذلك على رأس المأتين، فصنف عبد الله بن موسى العبسي الكوفي مسندا، وصنف مسدد بن مسرهد البصري مسندا، وصنف أسد بن موسى الأموي مسندا، وصنف نعيم بن حماد الخزاعي نزيل مصر مسندا، ثم اقتفى الأئمة بعد ذلك أثرهم، فقل إمام من الحفاظ إلا وصنف على المسانيد، كالإمام أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهوية، وعثمان بن أبي

(١) فتح الباري ١-٢٨١.

(٢) أعلام المحدثين ص ٢٢- ٢٣ بتصرف.

شيبة، وغيرهم من النبلاء، وكان منهم من صنف على الأبواب وعلى المسانيد معا، كأبي بكر بن أبي شيبة، فلما رأي البخاري رضي الله عنه – هذه التصانيف، ورواها، وانتشق رياها، واستجلى محياها، وجدها بحسب الوضع جامعة بين ما يدخل تحت التصحيح والتحسين والكثير منها يشمله التضعيف، فلا يقال لغثه سمين، فحرك همته لجمع الحديث الصحيح الذي لا يرتاب فيه أمين، وقوى عزمه على ذلك ما سمعه من أستاذه أمير المؤمنين في الحديث والفقه إسحاق بن إبراهيم الحنظلي المعروف بابن راهوية: لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال البخاري: فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع الجامع الصحيح(١).

ولهذا كان القرن الثالث الهجري (٢٠٠ – ٣٠٠ هـ) العصر الذهبي في تاريخ السنة وتدوينها، وتبويبها، ففيه ظهر كبار أئمة الحديث وجهابذته، وحذاق النقد وصيارفته، وفيه أشرقت على أمة الإسلام شموس الكتب الستة وأمثالها، فكادت أن تستوعب الحديث الصحيح، وأصبحت هذه الكتب من أهم المصادر التي يعتمد عليها العلماء وجماهير المسلمين للوقوف على أقواله صلى الله عليه وسلم.

وبانتهاء هذا العصر كاد أن يتم جمع السنة وتدوينها، وابتدأ عصر ترتيبها وتهذيبها واختصارها وتقريبها إلى طالبيها، وتسهيلها على روادها.

ومن أشهر المؤلفات في هذا القرن صحيح البخاري (ت٢٥٦هـ) وصحيح مسلم (ت٢٦١هـ) وسنن أبي داود (ت٢٥٧هـ) وسنن الترمذي (ت٢٧٩ هـ) وسنن النسائي (ت٣٠٣هـ) وسنن ابن ماجه (ت٢٧٣هـ) ومسند الإمام أحمد (ت٢٤١هـ) ومسند عبيدالله بن موسى (ت٢١٣هـ) ومسند عبد بن حميد (ت٢٤٩هـ) ومسند الدارمي (ت٢٥٥هـ) ومسند مسدد بن مسرهد (ت٢٢٨هـ) ومصنف ابن أبي شيبة (ت٢٣٥هـ) ومسند ألحميدي (ت٢١٩هـ) وغيرها كثير(٢).

التدوين في القرن الرابع الهجري (٣٠٠ – ٤٠٠ هـ):

---

(١) هدي الساري ص٧.

(٢) أعلام المحدثين صـ ٢٤– ٢٥– بتصرف.

ممـا تقـدم علمنـا أن القـرن الثالـث كـان أسـعد القـرون بخدمـة الـسنة وتمحيصها ونقد رواتها، وبالأئمة الكبار الذين كان عليهم المعول في جمع الأحاديث وتدوينها، فلما جاء القرن الرابع ،كانت قد جمعت السنة ودونت في المصنفات الحديثية، فلم يأتي رجاله على رجال القرن الثالث شيئا جديدا، إلا قليلا مما استدركوه عليهم، أو تصنيف ما جمعوه بطرق شتى، أو الإتيان بطرق أخرى للحديث.. ومن أشهر الكتب المؤلفة في هذا العصر المعاجم الثلاثة (الكبير والأوسط والصغير) للإمام سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، و سـنن الـدار قطنـي (ت٣٨٥هـ)، وصـحيح أبـي حـاتم محمـد بـن حبـان البـستي(ت٣٥٤هـ) وصـحيح أبـي عوانـة يعقـوب بـن إسـحاق (ت ٣١٦هـ)، وصـحيح ابـن خزيمـة محمـد بـن إسـحاق(ت٣١١هـ)، وصـحيح المنتقـى لابـن السكن سعيد ابن عثمان البغدادي(ت ٣٥٣هـ)، والمنتقى لقاسم بن اصبغ محدث الأنـدلس(ت٣٤٠هـ)، ومما ألف في هذا العصر أيضا الحاكم أبو عبدالله (ت٤٠٥هـ) صاحب كتاب المستدرك على الصحيحين، وغير هؤلاء كثير[1].

التأليف في الحديث بعد القرن الرابع:

وبعد القرن الرابع كاد أن ينتهي عصر الاجتهاد في جمع السنن من أفواه الرواة، أو أن يأت المحدثين بشئ جديد من الأحاديث لم يأت بها من قبلهم، فكانت طريقة القوم في هذه المرحلة هي: تهذيب كتب المتقدمين، أو ترتيبيها، أو جمع ما تشتت منها في كتب متفرقة في كتاب واحد، أو يجمعون الأحاديث المتعلقة بكل موضوع على حده، أو يختصرون هذه الكتب، أو يبينون غريبها، أو يخرجون الأحاديث، أو يتكلموا على الأسانيد، ويبنوا أحوال الرواة من حيث الجرح والتعديل،وقد اعتمدوا في ذلك أيضا على أقوال الأئمة المتقدمين.

١٧- العناية ببيان الناسخ من المنسوخ من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وهذا العلم من العلوم الهامة جدا، وهو فن صعب المنال إلا على جهابذة السنة وحفاظها الواقفين على تاريخ التشريع الإسلامي. قال الإمام الزهري (ت١٢٤هـ): أعيا الفقهاء وأعجزهم أن يعرفوا ناسخ الحديث من منسوخه. وقد

(١) أعلام المحدثين صـ٢٥-٢٧ والسنة ومكانتها صـ١٠٦.

كان للإمام الشافعي رضي الله عنه في هذا النوع من علوم الحديث اليد الطولى، والسابقة الأولي، فالإمام أحمد بن حنبل على جلالته يقول لابن واره وقد قدم من مصر: كتبت كتب الشافعي؟ قال: فرطت، ما علمنا المجمل من المفسر، ولا ناسخ الحديث من منسوخه حتى جالسنا الشافعي(١).

والنسخ في اصطلاح العلماء هو: رفع الشارع حكما منه متقدما بحكم منه متأخر، فالمتأخر يسمى الناسخ والمتقدم يسمى المنسوخ، وله شروط تكفلت بذكرها كتب أصول الفقه، وله طرق يعرف بها منها: التصريح من النبي صلى الله عليه وسلم،ومنه ما يعرف بالتاريخ، فينظر أي الحديثين المتقدم، وأيهما المتأخر فيعمل به. ومنها ما يعرف بالإجماع(٢).

وقد صنف في الناسخ والمنسوخ من الحديث خلق كثير منهم: الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أبو داود السجستاني صاحب السنن، وأبو محمد قاسم بن أصبغ، وغيرهم كثير من العلماء المتأخرين(٣).

١٨- تأويل مشكل الحديث:

وهذا فن جليل يسمى أيضا: تأويل مختلف الحديث، وعلم اختلاف الحديث، وكل عالم بل كل مسلم يحتاج للوقوف عليه؛ فإن بمعرفته يندفع التناقض عن كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ويطمئن المكلف إلى أحكام الشرع، ومشكل الحديث: هو أن يأتي حديثان متضادان في المعنى ظاهرا، فيوفق بينهما بما يزيل إشكالها،أو يرجح أحدهما، ولا يكمل لهذا الفن سوى الأئمة الجامعون بين الحديث، والفقه، والأصوليون الغواصون على المعاني، وأول من تكلم في هذا: الإمام محمد بن إدريس الشافعي(ت ٢٠٤هـ) رحمه الله، وصنف فيه كتابه المعروف باختلاف الحديث، وإن كان لم يقصد إلي استيفائه

---

(١) تدريب الراوي ٢-١٩٠، مقدمة ابن الصلاح ١٤٣، كشف الظنون ١-٢٠، الرسالة المستطرفة ١٠٨.

(٢) مقدمة ابن الصلاح ص١٣٩-١٤٠ بتصرف.

(٣) مقدمة ابن الصلاح ص١٣٩، معرفة علوم الحديث للحاكم ص١٣٩، تدريب الراوي ص١٩٥، مقدمة ابن الصلاح ص١٣٩، الحديث والمحدثون ص٤٧٢ – ٤٧٤ بتصرف، كشف الظنون ٢- ٢٧٦، الرسالة المستطرفة ص٦٠.

بل ذكر جملة منه ينبه به على طريقة الجمع بين ما ظاهره التناقض، ثم صنف في ذلك الإمام عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) وسمى كتابه (تأويل مختلف الحديث)، ثم صنف ابن جرير الطبري (ت٣١٠ هـ)، وأبو جعفر الطحاوي(ت٣٢١هـ) له كتاب مشكل الآثار، وكان ابن خزيمة (ت٣١١هـ) من أحسن الناس كلاما فيه،حتى قال:لا أعرف حديثين متضادين، فمن كان عنده فليأتيني به لأؤلف بينهما[١].

١٩- بيان معنى غريب الحديث:

غريب الحديث ما يقع فيه من كلمات غامضة بعيدة عن الفهم لقلة استعمالاتها، وهو من العلوم الهامة جدا، لفهم بعض الأحاديث، ومعرفة مغزاها، وتفسيرها التفسير الصحيح، ولذلك قال ابن الصلاح: (هذا فن مهم يقبح جهله بأهل الحديث خاصة، ثم بأهل العلم عامة، والخوض فيه ليس بالهين، والخائض فيه حقيق بالتحري، جدير بالتوقي، وكان السلف يتثبتون فيه أشد التثبت، فقد روينا عن الميموني قال: سئل أحمد عن حرف من غريب الحديث، فقال: سلوا أصحاب الغريب، فإني أكره أن أتكلم في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بالظن فأخطئ. وبلغنا عن التاريخي محمد بن عبد الملك قال: حدثني أبو قلابة عبد الملك بن محمد قال: قلت للأصمعي: يا أبا سعيد، ما معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (الجار أحق بسقبه)؟ فقال: أنا لا أفسر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن العرب تزعم أن السقب: اللزيق. وأقوى ما يعتمد عليه في تفسير غريب الحديث، هو أن يظفر به مفسرا في بعض روايات الحديث، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يفهمون، ويعرفون معنى كل ما يقوله صلى الله عليه وسلم، وإذا حدث ولم يفهموا شيئا سألوه عنه، واستمر الحال على هذا المنوال إلى أن لحق صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى،وحصلت الفتوحات، ودخل في الإسلام الكثير من الأعاجم، فنشا جيل جديد تشوب لسانه عجمة، فقد تعلموا من الأعاجم ما لابد لهم منه في الخطاب، ثم جاء التابعون سالكين طريقتهم، فكانت لغة القوم كانت سائرة

(١) تدريب الراوي ٢-١٩٦ بتصرف، ومقدمة الصلاح ص١٤٣، والحديث والمحدثون ص٤٧١ – ٤٧٢، كشف الظنون ١- ٢٠٦، الرسالة المستطرفة ص ١١٨.

إلي الاستعجام شيئا فشيئا، فما انقضى عصر التابعين إلا وقد استحال اللسان العربي أعجميا، واستغلق على الناس فهم الكثير من ألفاظ الحديث النبوي، فألهم الله أئمة الدين معالجة هذا الداء العضال؛ صيانة لهذا العلم الشريف، حتى لا يصبح طلاسم أمام عجمة المتأخرين، فتكلم في غريب الحديث جماعة من أتباع التابعين منهم: مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وشعبة بن الحجاج، ثم تتابع الناس في الكلام على هذا الفن، وألفوا في ذلك الكتب القيمة التي كانت فيما بعد عدة الأجيال المتلاحقة، وذخيرة القرون المتأخرة، ولولا همة هؤلاء الأئمة لخفي علينا فهم المراد من بعض الأحاديث عنه صلى الله عليه وسلم، وإليك نبذة عن التأليف في هذا النوع من علوم الحديث:

قال السيوطي: قيل أول من صنفه النضر بن شميل (ت٢٠٤هـ)، قاله الحاكم، وقيل: أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ)، ثم أبو الحسن النضر، ثم الأصمعي (عبد الملك بن قريب ت٢١٣هـ،وفي ذلك أقوال)، وكتبهما صغيرة قليلة، وألف بعدهما أبو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) كتابه المشهور، فاستقصى وأجاد، وذلك بعد المائتين، ثم تتبع أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت٢٧٦هـ) ما فات أبا عبيد، ثم تتبع أبو سليمان الخطابي(ت٣٧٨هـ) ما فاتهما، فهذه أمهاته وأصوله، ثم ألفت كتب كثيرة فيها زوائد وفوائد[١].

٢٠- بيان علل الحديث:

هذا العلم من اجل علوم الحديث وأشرفها وأدقها، ولا يتأهل للنظر فيه إلا الراسخون في علوم الحديث من أهل الخبرة والحفظ الثاقب، ولهذا لم يتصدر لهذا العلم إلا أفذاذ الرجال، وجهابذة السنة كابن المدينى، وأحمد بن حنبل، والبخاري، ومسلم، وأبي حاتم، وأبى زرعه، والدارقطنى، وذلك لأن العلة في اصطلاحهم عبارة عن أسباب خفيه غامضة قادحة في صحة الحديث مع أن الظاهر السلامة منها، وربما وجدت العلة في الإسناد الذي رجاله ثقات الجامع

(١) مقدمة الصلاح ص ١٣٧-١٣٨، تدريب الراوي ٢-١٨٤-١٨٥بتصرف، والحديث والمحدثون ص ٤٧٤-٤٧٥ بتصرف، الباعث الحثيث ص٢٠٠ معرفة علوم الحديث ص٨٨.

لشروط الصحة من حيث الظاهر، قال الحاكم: (وهذا النوع من معرفة علم الحديث علم برأسه غير الصحيح والسقيم، والجرح والتعديل، قال: وإنما يعلل الحديث من أوجه ليس للجرح فيها مدخل، فإن حديث المجروح ساقط واه، وعلة الحديث تكثر في أحاديث الثقات، أن يحدثوا بحديث له علة، فيخفى عليهم علمه فيصير الحديث معلولا، والحجة فيه عندنا الحفظ والفهم والمعرفة لا غير، وقال عبد الرحمن بن مهدي: معرفة الحديث إلهام، فلو قلت للعالم: يعلل الحديث من أين قلت هذا؟ لم يكن له حجة، وروى بسنده إلى أبي زرعة أنه قال له رجل: ما الحجة في تعليلكم الحديث؟ قال: الحجة أن تسألني عن حديث له علة، فأذكر علته، ثم تقصد ابن وارة يعني محمد بن مسلم بن وارة، وتسأله عنه ولا تخبره بأنك قد سألتني عنه، فيذكر علته، ثم تقصد أبا حاتم، فيعلله، ثم تميز كلام كل منا على ذلك الحديث، فإن وجدت بيننا خلافا في علته فاعلم أن كلا منا تكلم على مراده، وإن وجدت الكلمة متفقة فاعلم حقيقة هذا العلم، قال ففعل الرجل، فاتفقت كلمتهم عليه، فقال: أشهد أن هذا العلم إلهام[1].

وقال ابن الصلاح: ويستعان على إدراك العلة بتفرد الراوي وبمخالفة غيره له، مع قرائن تنضم إلى ذلك تنبه العارف بهذا الشأن على إرسال في الموصول، أو وقف في المرفوع، أو دخول حديث في حديث، أو وهم واهم لغير ذلك، بحيث يغلب على ظنه ذلك، فيحكم به أو يتردد فيتوقف فيه، وكل ذلك مانع من الحكم بصحة ما وجد ذلك فيه، وقال الخطيب أبو بكر: السبيل إلى معرفة علة الحديث أن يجمع بين طرقه وينظر في اختلاف رواته، ويعتبر بمكانهم من الحفظ ومنزلتهم في الضبط والإتقان، وروي عن علي بن ألمديني قال: الباب إذا لم تجمع طرقه لم يتبين خطأه[2].

قد تناول هذا العلم بالتأليف والتصنيف كثير من الأئمة فمن ذلك: كتاب على بن المدينى المتوفى سنة،٢٣٤ وكتابه هذا من أجل الكتب، وكتاب

(١) علوم الحديث للحاكم ص ١١٢-١١٣ بتصرف.

(٢) من مقدمة ابن الصلاح ص٤٢-٤٣ بتصرف.

العلل للبخاري، والعلل لمسلم بن الحجاج النيسابوري، والعلل للترمذي، والعلل لابن أبى حاتم (ت٣٢٧هـ) وغيرهم[١].

٢١- وضع الأصول والقواعد والضوابط التي يعرف بها حال السند والمتن من حيث القبول والرد، وهو ما يسمى بعلم مصطلح الحديث، أو علم أصول الرواية، أو علم مصطلح الحديث، أو علم علوم الحديث، أو علم الحديث دراية:

لقد نشا هذا العلم كنتيجة للجهود السابقة التي بذلها الصحابة وأتباعهم لخدمة السنة والحفاظ عليها، وهذا العلم يبحث عن تقسيم الخبر إلى صحيح، وحسن، وضعيف، وتقسم كل من هذه الثلاثة إلى أنواع، وبيان الشروط المطلوبة في الراوي والمروي، وما يدخل الأخبار من علل واضطراب وشذوذ، وما ترد به الأخبار، وما يتوقف فيها إلى أن يعضد بمقويات أخري، وبيان كيفية سماع الحديث وتحمله وضبطه، وآداب المحدث وطالب الحديث، وغير ذلك مما كان في الأصل بحوثا متفرقة، وقواعد قائمة في نفوس العلماء في القرون الثلاثة الأولى إلى أن أفرد بالتأليف والجمع والترتيب شان العلوم الإسلامية الأخرى في تطورها وتدرجها، وقد كان أول من ألف في بعض بحوثه: على بن ألمديني، شيخ البخاري الذي كان علما في زمانه في علوم الحديث؛ لم يترك بابا من أبوابه إلا وضع فيه كتابا، وكذلك ألف غيره أنواعا مفرده منه، كالبخاري، ومسلم، والترمذي، في رسائل لم يضم بعضها إلى بعض، ولكن أول من صنف في هذا الفن تصنيفا علميا بحيث جمع كل أبوابه وبحوثه في مصنف واحد: هو القاضي أبو محمد الرامهرمزي [ت٣٦٠ هـ] في كتابه: المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، ولكنه لم يستوعب كل بحوث هذا العلم، ثم جاء الحاكم عبدالله النيسابوري [ت ٤٠٥هـ]، فألف كتابه معرفة علوم الحديث، ولكنه لم يهذب ولم يرتب، ثم تلاه أبو نعيم الأصفهاني [ت ٤٣٠هـ]، فعمل على كتاب الحاكم مستخرجا، ولكنه أبقى أشياء لم يعقب عليها، ثم جاء بعده الخطيب أبو بكر البغدادي [ت٤٦٣ هـ]،فصنف في قوانين الرواية كتابا سماه – الكفاية، وفي آدابها كتابا – سماه الجامع لآداب الشيخ والسامع، وقد

(١) الحديث والمحدثون ٤٧٨ –٤٧٩ بتصرف، وراجع الرسالة المستطرفة ص١١٠.

أفرد لكل فن من فنون الحديث مصنفا خاصا، ثم جاء بعده القاضي عياض [ت ٤٤٤ هـ] فألف كتابه الإلماع، مستمدا بحوثه من كتاب الخطيب ثم جاء الشيخ الحافظ تقي الدين أبو عمرو عثمان بن الصلاح الشهر زوري الدمشقي [ت ٦٤٢هـ]،فألف كتابه المشهور مقدمة ابن الصلاح، وهو كتاب شامل لكل ما تفرق في غيره من كتب المتقدمين، فكان من أجود الكتب التي ألفت في هذا الفن، ولذلك نجد العلماء فيما بعد يعولون عليهم في أبحاثهم، ومن تصدي للتأليف في علوم الحديث لا يعدو أن يكون ناظما له، أو مختصرا، أو شارحا، فمن الناظمين زين الدين العراقي [ت ٨٠٦هـ] في ألفية سماها: نظم الدرر في علم الأثر، وعمل عليها شرحا سماه فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، وقد تناول الناس ألفية العراقي بالشرح منهم السخاوي والسيوطي وآخرون، وممن شرح مقدمة ابن الصلاح: زين الدين العراقي، شرحها شرحا مختصرا سماه: التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من كتاب ابن الصلاح، ويعرف أيضا – نكت العراقي على مقدمة ابن الصلاح، وقد اختصر المقدمة كثيرا من العلماء منهم الإمام شرف الدين النواوي [ت ٦٧٦هـ] في كتابه الإرشاد في علم الإسناد، ثم اختصر الإرشاد في كتاب آخر سماه التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير، وعليه عدة شروح لعل من أهمها: كتاب تدريب الراوي شرح تقريب النواوي للإمام السيوطي، فهو من أعظم الكتب في أصول الرواية، ومن أنفس كتب الحافظ السيوطي..ثم تتابعت التآليف في هذا العلم، ومن أشهرها: نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني[ت ٨٥٢ هـ]وشرحها له أيضا ويسمى: نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، ومنها: توجيه النظر للجزائري، وقواعد التحديث للقاسمي، إلى غير ذلك من المؤلفات الكثيرة في هذا العلم التي يطول ذكرها ويصعب عدها[1].

(١) راجع السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص١٠٦-١٠٨، الحديث والمحدثون ص ٤٨٩-٤٩٤

الخـاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فهذا ما أمكنني التقدم به في هذا البحث المبارك، الذي استفدت منه، واستمتعت به كثيرا، فطيلة وقت الإعداد له وأنا أشعر بالفخر بسلفنا الصالح، هؤلاء الرجال الأفذاذ الذين أوقفوا حياتهم على خدمة دينهم، وكان شغلهم الشاغل المحافظة عليه، وإتباع كل السبل الموصلة، مهما كانت مشقتها، وأشعر بالورع والخشية والخشوع، وكأني أعيش في عالم آخر غير العالم المادي الذي أصبحنا نحيى فيه، أعيش في مجتمع مثالي مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وأصحابه رضي الله عنهم، والتابعين وأتباعهم، وتمنيت من كل قلبي لو كنت فردا من أفراد هذا المجتمع الفاضل، المبني على الإيمان الصادق، والمحبة الصادقة لله تعالى ولرسوله صلى الله ليه وسلم، والورع، والتقوى، والحق، والعدل، والصبر، واليقين القوي بالله تعالى، والإرادة والعزيمة الماضية، والهمة العالية، والإخلاص في القول والعمل، والاستعداد للتضحية بالنفس والمال والأهل والولد وكل شئ- عن طيب خاطر- في سبيل الله، ونصرة رسوله والذود عنه صلى الله عليه وسلم، وعن سنته.

وأسأل الله سبحانه وتعالى لعملي هذا القبول، وأتمنى أن أكون قد وفقت إلى إلقاء الضوء ولو على جزء بسيط من الجهود الخارقة التي بذلها السلف الصالح للمحافظة على المصدر الثاني من مصادر الدين الإسلامي، فكانوا نماذج يحتذى بها في حب نبيهم والتمسك بسنته، والاهتداء بهديه، والسير على دربه، واقتفاء أثره في كل شئونهم، والحرص على تنفيذ كل ما يرد عنه صلى الله عليه وسلم، وحفظه في صدورهم وفي سطورهم، وضبطه، والدفاع عنه بأمانة وإخلاص، حتى أدوه لمن بعدهم، سالما من أي دس أو تحريف، مميزا بين الصحيح منه وغيره، فيسروا على المسلمين أمرهم، وحفظوا عليهم دينهم، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

ومن خلال قراءة هذا البحث يتضح للقارئ الكريم ما يلي:

١- المكانة الكبيرة والعظيمة لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢- إجماع علماء المسلمين على أن السنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي.

٣- وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم، والائتمار بما أمر به والانتهاء عما نهى عنه،والتمسك بسنته، واتخاذها منهاجا نسير عليه بعد كتاب الله عز وجل..

٤- تأسي الصحابة وجميع السلف الصالح بالرسول صلى الله عليه وسلم،وإتباعهم له، وتمسكهم بسنته المطهرة السير على دربها.

٥- ورع الصحابة والتابعين وأتباعهم، وخوفهم من الوقوع في الخطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٦- تثبت الصحابة والتابعين وأتباعهم قبل قبول الحديث، ونسبته إليه صلى الله عليه وسلم، وكان هدفهم من ذلك أن ينبهوا المسلمين من بعدهم لضرورة التثبت والتحري قبل نسبة الأحاديث إليه صلى الله عليه وسلم.

٧- الصبر في طلب العلم وتحمله وأدائه؛ تقربا لله تعالى، وحبا لرسوله صلى الله عليه وسلم، واقتداء به، وخدمة للإسلام والمسلمين.

٨- وجوب التثبت قبل قبول الأخبار، وتصديقها والعمل بموجبها.

٩- البعد عن الابتداع في الدين والاكتفاء بما شرعه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وقد كان هذا منهج أصحابه صلى الله عليه وسلم.

١٠- وجوب بذل الجهد والطاقة في الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرته، وحمايته من كل أذى يراد به، أو نقص ينسب إليه، والوقوف بقوة للحملة الشرسة الموجهة إليه صلى الله عليه وسلم من بعض الملحدين والسفهاء والجهلة.

١١- وجوب الدفاع عن سنته صلى الله عليه وسلم، ودفع ودحض الشبه والأباطيل التي تثار حولها.

١٢- السير على درب الصحابة وأتباعهم في بذل كل ما في الوسع والطاقة من أجل تمييز الصحيح من السقيم من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وألا نستشهد بحديث، أو ننسبه إليه صلى الله عليه وسلم إلا بعد معرفة مصدره الأصلي، ومعرفة درجته من حيث الصحة والضعف.

١٣- وجوب محبة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وتوقيرهم، واعتقاد فضلهم على كل من جاء بعدهم في العلم والعمل والمكانة عند الله تعالى، وبغض من يطعن فيهم أو ينتقص من قدرهم.

١٤- عظم الجهود التى بذلها الصحابة والتابعين وأتباعهم للمحافظة على السنة النبوية.

وختاما أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وجميع المسلمين للعلم النافع، والعمل الصالح، والفقه في الدين، والسير على منهج سيد المرسلين، وأصحابه المرضيين، وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم آمين.

وصلى الله على سينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،،

المصادر والمراجع

١- القران الكريم
٢- أعلام المحدثين، للدكتور محمد بن محمد أبو شهبه – طبع مطابع دار الكتاب العربي.
٣- إرشاد الفحول، للشوكاني – طبع البابي الحلبي بمصر.
٤- إحكام الأحكام في أصول الأحكام، لابن حزم – طبع مصر.
٥- أصول السر خسي، للإمام أبي بكر محمد بن احمد السر خسي – طبع دار المعرفة- بيروت – لبنان)
٦- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني –طبع مكتبة السعادة مصر.
٧- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري – طبع المكتبة السلفية.
٨- الجرح والتعديل، للحافظ أبي محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم التميمي الحنظلي الرازي –طبع دار الكتب العلمية –بيروت – لبنان)
٩- الحديث والمحدثون، للدكتور محمد محمد أبو زهو – طبع دار الفكر العربي.
١٠-الرحلة في طلب العلم، للخطيب البغدادي.
١١-الرسالة، للإمام الشافعي – طبع البابي الحلبي بمصر.
١٢- السنة قبل التدوين، للدكتور محمد عجاج الخطيب –طبع دار الفكر.
١٣- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، للدكتور مصطفى السباعي – طبع دار السلام.
١٤- المدخل إلى السنة النبوية، للدكتور عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي – طبع دار المعالم الثقافية.
١٥- المستدرك على الصحيحين، للحافظ أبي عبدالله الحاكم النيسابوري – طبع دار الكتاب العربي بيروت لبنان.
١٦- المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم، وضع محمد فؤاد عبد الباقي – طبع دار الحديث القاهرة.
١٧- تأويل مختلف الحديث، للإمام عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري.
١٨- تاريخ التشريع الإسلامي، للخضري – طبع المكتبة التجارية – مصر.
١٩- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي – طبع المكتبة العملية بالمدينة المنورة).
٢٠- تيسير مصطلح الحديث، للدكتور محمود الطحان – طبع مكتبة المعارف الرياض.
٢١- جامع بيان العلم وفضلة، للإمام أبي عمر يوسف بن عبد البر ألنمري القرطبي – طبع المكتبة التوفيقية القاهرة.
٢٢- دفاع عن السنة، للدكتور محمد بن محمد أبو شهبه – طبع مكتبة السنة.
٣٢- سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، طبع دار الفكر.

٣٣- سنن الترمذي أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، طبع دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
٣٤- سنن النبي صلى الله عليه وسلم وأيامه، للحافظ ابن سعد، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، ودمشق.
٣٤- سنن النسائي، طبع دار الفكر.
٣٥- سنن ابن ماجه، طبع دار الحديث مصر.
٣٦- سنن الدارمي، طبع مصر.
٣٧- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري – طبع دار الحديث –مصر.
٣٨- صحيح مسلم (بشرح الإمام محي الدين النووي – طبع دار المعرفة –بيروت – لبنان.
٣٩- عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي – طبع دار الفكر.
٤٠- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ احمد بن علي بن حجر العسقلاني – طبع دار الفكر.
٤١- قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث، للقاسمي –طبع البابي الحلبي –مصر.
٤٢- معرفة علوم الحديث، للحاكم أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحافظ النيسابوري – طبع مكتبة المتنبي – القاهرة.
٤٣- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي – طبع دار الكتاب العربي – بيروت –لبنان.
٤٤- مسند الإمام احمد بن حنبل، طبعة جديدة مصححة ومرقمة، طبع مؤسسة التاريخ العربي – بيروت لبنان.
٤٥- مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، للحافظ جلال الدين السيوطي – طبع دار السلام.
٤٦- مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، لأبي عمر عثمان بن الصلاح الشهر زوري – طبع مكتبة المتنبي – القاهرة.
٤٧- موسوعة أطراف الحديث النبوي، إعداد أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول – طبع دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
٤٨- موطأ الإمام مالك، طبع دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصفحة
المقدمة	٢٨٩
الباب الأول	
حول السنة، ومكانتها، وحجيتها	
الفصل الأول: تعريف السنة.	٢٩٥
الفصل الثاني: أقسام السنة.	٢٩٩
الفصل الثالث: مكانة السنة في الدين، ومدى حجيتها.	٣٠٤
الفصل الرابع: علاقة السنة بالقرآن الكريم.	٣١٢
الباب الثاني	
حول الصحابة والتابعين وأتباعهم	
الفصل الأول: تعريف الصحابي، وكيفية معرفة الصحابي، وعدالة الصحابة، وعددهم.	٣١٩
الفصل الثاني: تعريف التابعي، عدالة التابعين، وعددهم.	٣٢٣
الفصل الثالث: تعريف أتباع التابعين، عدالتهم، وفائدة معرفة الصحابة، والتابعين، وأتباع التابعين.	٣٢٦
الفصل الرابع: موقف الصحابة ومن بعدهم من الاحتجاج بالسنة.	٣٢٨
الباب الثالث	
بعض من جهود الصحابة رضي الله عنهم وأتباعهم وتابعيهم في المحافظة على السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم	
الخاتمة	٣٣٤
المصادر والمراجع	٣٩٢
فهرس الموضوعات	٣٩٤
	٣٩٦